السبت 15 شباط 2020
العدد 3981 السنة الرابعة عشرة
Samedi 15 Fevrier 2020 no 3981 14ème année

32 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

● «ألف ليلة وليلة»
مدونتنا اللانهائية

● **أنجيلا ديفيس:**
أيقونة الثورة السوداء
مع كل «فلسطينيّي»
هذا العالم

خفض الفائدة على القروض: سلامة مستمرّ بـ«عدم» أرباح المصارف [4]

الحريري يحتفل بتحرّره... من باسيل [2]

السودان في البازار الخليجي: خدعة التطبيع

[16 ـ 18]

بحثُ السودان الخطى نحو التطبيع، مدفوعاً بإغراءات تبدو أشبه بـ«سمك في بحر»، فيما تستعدّ إسرائيل لقطف الثمار الحقيقية (أ ف ب)

الكرة اللبنانية

الأنصار في آسيا: «شبه إنجازات» لا ألقاب

8

سوريا

صواريخ أرض - جو بأيدي المسلحين:
تركيا تتحسّب لما بعد «M5»

14

العراق

تعزيز دور «الناتو»:
التفافٌ أميركي أم بداية انفكاك؟

15

قضية اليوم

الحريري يحتفل بتحرّره... من باسيل

خسِر سعد الحريري كثيراً طوال 15 عاماً، ولا سيّما في السنوات الثلاث الأخيرة. أمس، في الذكرى السنوية الخامسة عشرة على اغتيال والده، أعلن فعل الندامة وأحرق المراكب كلها مع الوزير السابق جبران باسيل

ميسم رزق

بمشهَدٍ شبيه باستقباله يومَ عودته مُحرّراً من المملكة العربية السعودية، تجمّع مُناصرو رئيس الحكومة السابق سعد الحريري في وادي أبو جميل. الحضور كانَ لإحياء الذكرى الخامسة عشرة لاغتيال والده الرئيس الأسبق للحكومة رفيق الحريري. مناسبة سرعان ما تحوّلت إلى فرصة للاحتفاء بتحرّر رئيس تيارهم، مرّة أخرى، وعودة «أسيرهم» الى أحضان جمهوره

> بينما كانَ الحريري ينعى التسوية، كانَ المُحتَشدون يستعجلون دفنها بصيحات الـ«الهيلا هيلا هو»

بعدَ ثلاث سنوات من الاحتجاز الطوعي الذي اختاره لنفسه بينَ قبضات الرئيس ميشال عون والوزير السابق جبران باسيل. في الزواريب المُحيطة ببيت الوسط، مروراً بالباحة الخارجية للمنزل، وحتى في داخله، امتلأت المقاعد وازدحمت المساحة بوزراء ونواب وسفراء وشخصيات عامّة ومُحبّين. جمهور فاقَ بعدده ما استقطبه احتفال تحرير الحريري من براثن ولي العهد السعودي محمد بن سلمان قبل عامين ونصف عام. جمهور اشتاق إلى خطاب يلعب على مشاعره، بإعلان وقف التسويات والتنازلات، وإعادة تظهير عدوّ يشدّ العصب. حاجة بدأ يلبّيها الحريري بعدَ خروجه من الحكومة، بالتصويب على التيار الوطني الحرّ، واتهامات بالتعطيل بلغَت ذروتها يومَ أمس. بينما كانَ الحريري ينعى التسوية، كانَ المُحتَشدون يستعجلون دفنها بصيحات الـ«الهيلا هيلاً هو»!

إلى جانِب «النعوة» التي رافقَت إحياء الذكرى، رسَم الحريري «خريطة طريق» تيار المُستقبل في المرحلة المُقبلة على المستوى السياسي، في الداخِل والخارج. الذكرى تمّ إحياؤها تحتَ شعار «السياسات الحريرية ومسلسل التعطيل»، وتخلّلتها أغانٍ من وحي المناسبة، إلى جانب شريطٍ وثائقي لبعض المحطات السياسية منذ أيام الحريري الأب. وأتت بعدَ تطورات بارزة شهدتها البلاد في الأشهر الماضية، خاصّة استقالة الحريري من الحكومة وما رافقها من تداعيات على صعيد علاقته بحلفاء تحولوا إلى خصوم، وحلفاء قدامى يحاولون ترميم العلاقة.

نحو ساعة من الوقت قضاها الحريري في شرح أسباب الطلاق مع عون وفريقه عبرَ مواقِف عالية السقف، تنطوي على مراجعة للأعوام الماضية التي قالَ الحريري بأنه «انطحن فيها وواجه وتعلّم وأخطأ وربِح وانطعن وصبر وتعرَّف على أوادِم وصادقين ورفاق درب وصوليين وانتهازيين». تلا فعل الندامة بعدَما كبّدته التسوية خسائر سياسية وشعبية في الداخل، وخسارة مكانته عربياً وخليجياً. تحدّث الحريري عن باسيل كمن يتحدّث عن «صديق غدّار». لم يحمّله فقط مسؤولية كل التعطيل في البلد وما آلت اليه الأمور في البلاد، بل «عايره» أيضاً «بانقلابه على اتفاق معراب».

في موازاة ذلك، يُمكن الإشارة إلى مسألتين بالغتَي الأهمية في الدليل السياسي للخطاب: الأولى، أن الحريري ركّز على «مغازلة» النائب السابق وليد جنبلاط، الذي مثّله في الذكرى ابنه تيمور. مرّتان كرّر فيهما الحريري الكلام عن جنبلاط، مؤكداً «التحالف المتين معه»، ذاكراً إياه بالاسم، في معرض اتهامه لباسيل بمحاولة إقصاء البيك من الحكومات. علماً أنه وعلى الرغم من إعطاء مثل عن حزب «القوات» لكنه لم يأتِ على تسمية سمير جعجع ولا زوجته النائبة ستريدا طوق التي اعتذرت عن عدم الحضور بداعي المرض. عوضاً عن ذلك، رحّب الحريري بالوزيرة السابقة مي شدياق «مش لأنها من القوات بس، لأنها الشهيدة الحية»، وسطَ حضور باهِت للقوات تمثّل بنواب سابقين ووزراء سابقين أيضاً.

والثانية هي أنه بعدَ أن قال كل ما قاله بحق العهد، بجناحه المُتمثّل بباسيل في حضور النائب إيلي الفرزلي، حيّد الرئيس عون «اللي بيعرف إحترامو عندي». ربما لأن الحريري لم ينسَ مساعدة «بي الكل» يومَ اختطفته الرياض فقال: «أنا حافظلو مواقفو». حاوَل فصله قدرَ الإمكان مع الإشارة إلى «تعامله مع رئيسين، واحد في بعبدا وآخر في الظل»، كما حاوَل تحييد حزب الله، فلم يأتِ على ذكره عبر «هيمنة وغلبة السلاح»، بل بكلام عام جداً «لا يُصرَف» في البلاط السعودي، كونه لا يرقى إلى مستوى المواجهة التي تريدها الرياض والغرب في ظل التحولات الكبرى للوقائع الداخلية كما المتغيّرات الخارجية.

وطبعاً، لم ينسَ الحريري انتقاد «المزايدين» الذين لم يكونوا ضمن قائمة المدعوين كالنائب نهاد المشنوق فقال: «يُمكنهم أن يتحدثوا ويطلقوا خطابات لكن الكلام عليهم، والكلفة علينا وعلى دار الفتوى وعلى الطائفة وعلى جمهور تيار المستقبل».

بعدَ ذلك انصرف الحريري للحديث عن برنامِج تيار «المُستقبل»: إعادة هيكلة والتفرّغ للعمل التنظيمي، مُعلناً انعقاد المؤتمر العام للتيار قريباً، وهي خطوة «لا بدّ منها» بعدَ الترهّل الذي أصابه، والشكاوى التي تصِل إلى مسامِع الحريري من دون انقطاع.

(مروان طحطح)

بهاء ينقضّ على سعد

(مروان طحطح)

ينتظر بهاء الحريري شقيقه رئيس الحكومة السابق سعد الحريري، عند كل منعطف مصيري في حياته السياسية لينقض عليه. المرة الأولى كانت خلال اعتقّال ولي العهد السعودي محمد بن سلمان لسعد في الرياض. يومها قدم بهاء نفسه على أنه الوجه المشرّق للعائلة، وحاول فرض نفسه عبر عدة قنوات دولية ومحلية لشغل منصب شقيقه. كاد الأمر أن يتحقق لولا معارضة أفراد العائلة وعددٍ من أركان تيار المستقبل. واليوم، في ذكرى اغتيال رفيق الحريري والمرحلة الأضعف التي يعيشها سعد بعد استقالته من الحكومة وتشكيل أخرى بدونه، يحاول بهاء التسويق لنفسه في الشارع المستقبلي. اللافت هنا أن بعض الشبان قدموا أنفسهم يوم أمس على أنهم «رجال بهاء الحريري وأنصاره» وعمدوا منذ الصباح إلى لصق صور للحريري الأب مذيّلة بعبارة «الشهيد أبو بهاء». ليشتبكوا في فترة ما بعد الظهر مع مناصري سعد الحريري قرب ضريح الحريري في ساحة الشهداء، مطلقين هتافات تبايع «بهاء» وتذمّ سعد الحريري. وفي السياق نفسه، أصدر بهاء بياناً اعتبر فيه أن ما قام به شبان وشابات الحراك «على مدى الأشهر الأربعة الماضِية هوَ قمة الرقي في إعطاء دروس لِمن فِقّدِ معنى الصدق والإخلاص والأمانة في تولّي وَتعاطي الشأن العام»، غامزاً من قناة شقيقه. وأعرب عن ازدرائه وخيبته كما المواطنين من «الاستهتار بشؤون الوطن والمواطن والإسفاف في التعاطي»، معلناً «وقوعنا في المحظور وأن ما كان يَحصل بتِدرُّج بعد اغتيال والدي الشهيد، هوَ اغتيال بطيء لكل ما آمِن به». ليختم بنعت أخيه بالفساد من دون تسميته عبر الإشادة «بحناجر المواطنين التي صرخت مطالبة برحيل منظومة الفساد وأسيادها وأعوانها». فيما اللافت أن الإعلامي جيري ماهر، المطبّل لولي العهد السعودي والمسوّق للعدو الإسرائيلي، قدم نفسه يوم أمس على أنه المستشار الإعلامي لبهاء الدين الحريري، في إطار نفيه ما يتمّ تداوله حول بيان أصدره بهاء وأحاديث تُنسب إليه.

في موازاة المشادة التي حصلت بين أنصار بهاء وسعد، قام بعض من جمهور تيار المستقبل بـ«غزو» خيم المعتصمين في ساحة الشهداء في إعادة لمشهد يوم أول من أمس، حيث اشتبكوا مع شباب الحراك لتتدخل بعدها القوى الأمنية وتفصل بينهما.

(الأخبار)

في الواجهة

من رفيق الحريري الأوّل إلى سعد الحريري الرابع

ليست قليلة الأثر والدلالة كلمة الرئيس سعد الحريري في ذكرى اغتيال والده الرئيس رفيق الحريري. أراد شد العصب السنّي من حوله، واستعادة الشعبية التي أقر بمعاكستها، وردّ الاعتبار إلى البيت عندما كان في قريطم ثم أضحى في بيت الوسط

نقولا ناصيف

كان على الكثيرين، البارحة، أن يحزروا ما عنته كلمة الرئيس سعد الحريري في ذكرى 14 شباط: هل يريد أن يكون رفيق الحريري الثاني، أم سعد الحريري الرابع. سعد الأول يوم ترأّس حكومته الأولى عام 2009، وسعد الثاني عندما عبر صحراءه إبان حكومتي الرئيسين نجيب ميقاتي وتمام سلام مرة في المعارضة ومرة في الموالاة وفي الاثنتين خارج السرايا، وسعد الثالث عندما أيّد عدو الأمس - وبينهما ما بينهما - الرئيس ميشال عون لرئاسة الجمهورية.

في كلمته في ذكرى اغتيال والده الرئيس الراحل رفيق الحريري، كان في الإمكان العثور على شخص جديد رابع هو خليط الثلاثة معاً: الذي تذكّر رفاق 14 آذار، والذي أعاد نبش النزاع المزمن مع عون، والذي يريد أن يبدأ من جديد لكن مع الذين رافقوه في الماضي - ما خلا عون وحزبه - شركائه في مسؤولية ما آلت اليه البلاد.

هكذا توخى في كلمته: دافع عن حقبة الحريري الأب وبرّأها من كل ما حدث في ما بعد، من دون أن يذكر العدالة والمحكمة الدولية. تجنب المرور بحكومة خلفه الرئيس حسان دياب فلم يهاجمه، ولم يظهر نفسه معارضاً شرساً له، كما بدا في مرحلة التكليف، مقدار ما فعل مع رئيس الجمهورية كأن المشكلة ليست معه بل مع عون فقط. راعى الثنائي الشيعي عندما ميّز حزب الله اللبناني عن ذاك الإقليمي في معرض تطرقه إلى مناوأته إيران، واصطفافه هو في الخيارات العربية، كأنما حزب الله فقط هو إيران. تقاسم مع الشريط الوثائقي الذي سبق كلمته توزيع الاتهامات: الأول حمّل مشكلة الكهرباء وضرب مشروع الحريري الأب للرئيس إميل لحود وعهده، بينما تولى هو التصويب على الرئيس ميشال عون وعهده.

بيد أن الحريري الابن الرابع، بعدما تدحرجت السلسلة، ليس الأخير. لم يقل، وقد يصعب قبل مرور بعض الوقت خارج السرايا وفي المعارضة أو خارجها، مع الحلفاء أو من دونهم، كيف سيكون هذا الرابع؟

مع ذلك، ثمة ما هو مهم يمكن ملاحظته:

أوله، مع أن السفير السعودي وليد البخاري أُجلِسَ في الصف الثاني وهو يمثل مليكه، وكذلك السفيرين الأميركي والمصري، بينما اصطف في المقدمة نواب سابقون ووزراء سابقون وأهل البيت وسواهم، ومع أنه أتى خلافاً للمعتاد على ذكر مصر قبل السعودية - وقد تكون زلة لسان في الغالب ليست بلا دلالة مضمرة - إلا أن الحريري عرّج أكثر من مرة على المملكة ودول الخليج العربي، سواء في كلامه عن الخيارات العربية وانحيازه إليها، أم في الدور الاقتصادي لها في معالجة الأزمة الخانقة. في السياق نفسه وجّه أكثر من رسالة إيجابية إلى الرياض حيال تأكيد تحالفه مع رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط وتفادي انتقاد رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع، وكلاهما حليف للمملكة، ما عنى ضمناً عدم تخليه عن رفيقي 14 آذار. أفرط في مديح علاقته بجنبلاط، في وقت لا يزال الغموض والالتباس يحوطان بعلاقته بجعجع فلم يمدحه لكنه لم يهجه، مع أن الحزبين شاركا في الذكرى وإن بتمثيل متفاوت. لم يتردد الحريري في ذكرى 14 شباط 2016 في انتقاد جعجع، في حضوره، على إبرامه اتفاق معراب لشهر خلا في 18 كانون الثاني، وخاطبه من على منبر «بيال» قائلاً: إن اتفاقاً كهذا بين التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية لو أبرم قبل سنوات لوفّر الكثير على اللبنانيين. سرعان ما انضم الحريري متأخراً إلى روح اتفاق معراب - وإن على طريقته - عندما أيّد انتخاب عون رئيساً للجمهورية في 20 تشرين الأول 2016. بدأ يعيد ترتيب أوراق اعتماد جديدة لدى المملكة باستعادة الحلفاء، والتخلص من تسوية 2016، والإشارة إلى أنه تغيّر وعاد إلى المقلب الذي يُرضيها.

ثانيه، تحدث بعنف موصوف عن «رئيس الظل» جبران باسيل لتحميله مسؤولية انهيار تسوية 2016 التي أعلن خروجه النهائي منها، مع أنه يعرف أن «رئيس الظل» لم يهبط عليه فجأة أخيراً. عندما دار تفاوضه مع باسيل سراً طوال ستة أشهر انتهت في تشرين الأول 2016 في باريس، بشراكة ابن عمته نادر الحريري ووساطة رجل الأعمال جيلبير شاغوري إلى حين تكريس الاتفاق، ولم يُكتشف التفاوض السري إلا بالمصادفة بعدما ظل غامضاً على تيار المستقبل، وافتضحت في الفندق الباريسي جلسات العمل الليلية... لم يكن الحريري يجهل حينذاك أن صهر عون هو مفاوضه الوحيد، وهو الذي أبرم معه كل مقوّمات المقايضة: قصر بعبدا في مقابل السرايا طوال سني الولاية، ثم المحاصصة وكل ما تبع. لم يكن سراً على الحريري أن باسيل هو الرجل القوي في عهد عمّه. عندما تألفت حكومة 2016 كانا شريكي التأليف، وكذلك حكومة 2019، وبينهما قانون الانتخاب والتعيينات والمناقلات وقسمة جبنة الإدارة والأسلاك والسفارات والمناصب والمصالح المتقاطعة.

> كيف اكتشف الحريري متأخراً «رئيس ظل» فاوضه طويلاً عام 2016؟

كان باسيل هو المفاوض الحصري للحريري بتكليف من عون، ولم يقل الزعيم السنّي على مر ذلك الوقت بأنه كان أمام رئيس ظل، مع أن في البلاد رئيساً أصلاً. رغم أن العبارة مستعارة من جملة منسوبة إلى الرئيس نبيه برّي ردّدها أكثر من مرة عام 2016 وهو أنه لم يقترع لعون لئلا يُنتخب رئيسان، لم يكتشف الحريري مغزى «رئيس الظل» إلى جانب «الرئيس الأصل» إلا بعدما مرّ هذا السجل والشريط الطويل من اقتسام الدولة بينه وعدوه الجديد.

ثالثه، انسجاماً مع العداء المستجدّ مع رئيس الجمهورية ومع رئيس التيار الوطني الحر، بات يحتاج إلى استرجاع مكانته في السعودية. لم يذهب الحريري إلى القبول بانتخاب عون رئيساً للجمهورية إلا بعدما بدأت المملكة توصد دونه تدريجاً الأبواب، وصار يتطلب وجوده داخل الحكم الذي تعذّر مع ترشيحه سليمان فرنجية في تشرين الثاني 2015، ثم تحقق مع انتخاب عون. خلافاً للعهد الذهبي للحريري الأب مع الملك فهد، والحريري الابن مع الملك عبدالله، أتت حقبة الملك سلمان كي تنتهي على مهل ملاذ الحريري عنده. لم يعد يُسمع عن الحريري الابن أنه «ولدنا» و«ابننا» كما كان مع العاهل السعودي السابق، وكما كان والده مع الملك الأسبق. وقع التحوّل مع ولي العهد محمد بن سلمان وقاد إلى ما حدث في 4 تشرين الثاني 2017 يوم احتجازه في الرياض. من بين أسباب مالية وأخرى شتى، كان المقصود إسقاط حكومة الحريري على طريق إسقاط تسوية 2016. مذاك بدأ انهيار وارث الامبراطورية المالية للحريري الأب في السعودية وتصفية «أوجيه سعودي».

جبران ونوّابه: «انفخت» الدفّ...

تتالت الردود فور انتهاء كلمة رئيس الحكومة السابق سعد الحريري في ذكرى استشهاد والده، وجاء أولها على لسان وزير الخارجية السابق جبران باسيل، الذي غرّد على تويتر قائلاً: «شو ما انت عملت وقلت ما رح تقدر تطالني، وكيف ما انا كنت ما رح اقبل كون متلك... بتفرّقنا بعض القيم والمبادئ، بس رح يرجع يجمعنا التفاهم الوطني... رحت بعيد بس رح ترجع، الفرق انو طريق الرجعة رح تكون اطول واصعب عليك». ومثله غرّد مستشار رئيس الجمهورية الوزير السابق سليم جريصاتي قائلاً: «إلى الرئيس الحريري: لماذا إغفال كلفة الفساد على الاقتصاد والمالية العامة؟». لتكرّ بعدها سُبحة تعليقات أعضاء تكتل «لبنان القوي» على تويتر أيضاً، لتُظهر مدى السوء الذي بلغته العلاقة بين التيارين.

على المقلب الآخر، تلقّف رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي النائب السابق وليد جنبلاط تحية الحريري خلال خطابه، فرفع 6 لاءات: «وإن كنا اليوم قلّة مع سعد الحريري لكن لا لاغتيال الطائف الذي صاغه رفيق الحريري، ولا للتقسيم المبطّن تحت شعار اللامركزية المالية، ولا لاغتيال لبنان الكبير من قوى الوصاية، ولا للإفلاس من رافضي الإصلاح، ولا لاغتيال العروبة من أعداء الداخل ولا لاغتيال فلسطين من صفقة القرن». بدوره، غرّد رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع، الذي لم يوجّه إليه الحريري تحية في الخطاب، على حسابه على تويتر، قائلاً: «14 شباط فاتحة ثورة الأرز وشهادة مؤلمة، ولكن مدوّية من أجل لبنان، السيد، الحر والمستقل... نواصل المسيرة، ثورة مستمرة من أجل لبنان أولاً وأخيراً». وأرفق جعجع التغريدة بصورة لرفيق الحريري كتب عليها «لن نستسلم لأهداف القتلة».

(الأخبار)

تقرير

المصارف تخفّض الفائدة على القروض: الربح «مدعوم» من مصرف لبنان!

ردّت جمعية المصارف على قرار البنك المركزي تخفيض الفوائد على الودائع، بإصدار بيان يُفيد بخفض الفائدة على القروض. الإجراء الأخير أتى سريعاً هذه المرّة، بهدف امتصاص نقمة القطاع الخاص، ومحاولة تقليص نسبة القروض المتعثرة. رغم ذلك، لا تزال الفائدة على التسليفات مرتفعة، وتسمح للمصارف بالحفاظ على هامش كبير من الربحية «المدعومة» أصلاً بالفوائد السخية التي يدفعها مصرف لبنان على ودائع المصارف لديه، والتي لم يُظهر بعد أي إشارة إلى نيته تخفيضها

ليا القزي

سريعاً، لبّت جمعية مصارف لبنان طلب حاكم البنك المركزي رياض سلامة، إصدار تعميم لتخفيض أسعار الفائدة المرجعية (BRR) على القروض. أصدرت أمس بياناً أكدت فيه أنّ الفائدة على التسليفات بالدولار أصبحت 6,75% بدلاً من 8,50%، و9% للتسليفات بالليرة اللبنانية بدلاً من 11,50%. هي الخطوة الثانية، بعد القرار الوسيط تحت رقم 544، الذي أصدره مصرف لبنان أول من أمس، لخفض الفائدة على الودائع (حدّد الفائدة على الودائع بالعملات الأجنبية بـ: 2% على الودائع لشهر واحد، 3% على الودائع لستة أشهر، 4% على الودائع لسنة وما فوق. أما بالنسبة إلى الودائع بالليرة اللبنانية، فقد حدّد القرار فائدتها بـ 5,5% على الودائع لشهر واحد، 6,5% على الودائع لستة أشهر، و7,5% على الودائع لسنة وما فوق). في قراره، أوعز سلامة إلى جمعية المصارف أن تعكس تخفيض معدل الفوائد الدائنة في احتساب معدلات الفوائد المرجعية لسوق بيروت (BRR). وقالت «الجمعية» في بيانها: «تأتي هذه التخفيضات الجوهرية والهامّة كتطبيق مُسبق للتعميم المذكور، أي من دون انتظار فترة استحقاق الودائع التي تراوح بين شهر وستة أشهر». وفي الجملة الأخيرة الكثير من ذرّ الرماد بالعيون. فبعيداً عن «التمنين» المُمارس بأنّها لن تنتظر انخفاض مصاريف دفع فوائد الودائع، حتى تُخفّض الفوائد على الاقتراض، المصارف هي أكثر المُستفيدين من تعميمها أمس. أولاً، لأنّ الفائدة على القروض تُحدّد بموجب عقود بين الطرفين، وهي تنقسم إلى فئتين: فوائد ثابتة، لن تتأثر بتخفيض الفوائد، وفوائد متحركة سيُطبّق الإجراء الجديد فوراً عليها. والمصارف المهتمة بتقليص قيمة القروض المتعثرة، وتُريد «إغراء» الدائنين لإيفائها، تملك «هامش» إدخال تعديلات بسيطة على الفوائد التي تحصّلها على القروض، بعد أن أزاحت عن كاهليها هوّة الفوائد التي تدفعها على الودائع، ولا سيّما أنّ القسم الأكبر منها (نحو 85 في المئة) يستحق في غضون شهر وثلاثة أشهر و6 أشهر. كما أنّ المصارف استفادت من إتاحة مصرف لبنان لها دفع نصف الفوائد بالدولار، والنصف الآخر بالليرة حسب السعر الرسمي. في المقابل، لم يُقدم «المركزي» على ما هو أهمّ من كلّ ذلك: خفض الفوائد السخية التي يدفعها على شهادات الإيداع وعلى ودائع المصارف لديه (بحسب تقديرات الخبير الاقتصادي توفيق كسبار، دفع مصرف لبنان عام 2019 وحده نحو 6 مليارات دولار فوائد للمصارف. وهذا المبلغ غير المليارات التي تجنيها المصارف من الخزينة العامة كفوائد على الدين العام).

سابقاً، كانت المصارف تنتظر استحقاق النسبة الأكبر من الودائع لديها، وبالتالي انخفاض الكلفة التي تتكبدها، قبل أن تُجري أي تخيير بنسبة الفوائد على القروض، فتُحافظ على هامش خفضها أمس؟ هي أداة فُهمَة تُحدّد العلاقة بين «طرفي العقد»، أي المصارف والعملاء. تُعتمد كمرجع لاحتساب الفوائد على القروض. تُضاف إليها نسبة تتراوح بين 2% و2,5% لمعرفة الكلفة الفعلية على الاقتراض التي يتكبّدها القطاع الخاص والأسر، ما يعني أنّ التخفيض الأخير «مُموّه»، لوجود تكاليف ستُضاف إليه (الفائدة المرجعية على قروض الدولار 6,75%، ما يعني أن الفائدة التي سيدفعها المقترض ستكون بين 8,75% و9,25%، وهي فائدة مرتفعة جداً). الأهمية الاقتصادية للفائدة المرجعية، وتأثيرها المُباشر على القطاعات الصناعية والمُنتجة في البلدان، يجعلان تحديدها عالمياً من مسؤولية لجان رقابية أو رسمية. أما في لبنان، فتُترك بين يدَي المصارف الخاصة الساعية دوماً إلى مراكمة أرباحها، بمعزل عن المصلحة الاقتصادية العامة. وواحد من الأدلة على ذلك، الحفاظ على هامش كبير للمداخيل والأرباح بين الفوائد على التسليفات والفوائد على الودائع. النائب آلان عون قام بعملية حسابية، مبنية على كلفة الودائع بالدولار والليرة اللبنانية، ونسبة الفوائد عليها، وقارنها بكلفة خفض الفوائد على الاقتراض، فوجد أنّ كلفة الفوائد التي تدفعها المصارف على الودائع بالدولار انخفضت بنسبة 47%، أما على الودائع بالليرة فانخفضت بنسبة 28%. في المقابل، لم تنخفض الفائدة التي تجبيها المصارف على التسليفات بالدولار سوى 21%، و22% على التسليفات بالليرة. النتيجة دفعت عون إلى الطلب من المصارف: «ارحموا المقرضين، أكانوا مؤسسات أم مواطنين، لكي يتمكنوا من الصمود في هذه المحنة».

> **كلفة الفوائد على الودائع بالدولار انخفضت 47%، مقابل 21% فقط على التسليفات**

النقطة الثانية التي وردت في بيان جمعية المصارف، أنّ «منحى التخفيض الكبير لهذه المُعدلات ستشمل قريباً تخفيضاً موازياً لكلفة المديونية العامة، والتي من المتوقّع التوصّل إليها بالتعاون مع وزارة المالية كمدخل لإعادة جدولة الدين العام وإعادة هيكلته، بحيث تُصبح خدمة المديونية العامة قابلة للاحتمال، وبحيث تتحرّر موارد للخزينة العامة يُمكن استعمالها لتعزيز وظائف الدولة الاقتصادية والاجتماعية». بعيداً عن الخلط بين مفهومَي «إعادة الهيكلة» (شطب الدولة لنسبة من قيمة السندات) و«إعادة الجدولة» (أن يُفرَض على حاملي السندات تأجيل الدفع وإعادة الاكتتاب على فترات طويلة مع تغيير في الفوائد)، تُبدي المصارف للمرة الأولى استعداداً لتخفيض الفوائد على الدين العام. يأتي ذلك بعد نشر «كابيتال إيكونوميكس» يوم الأربعاء تقديراً بأنّه «قد يتعيّن على حائزي السندات اللبنانية شطب 70 بالمئة من استثماراتهم... وسيلتهم ذلك رؤوس أموال البنوك، وستصل كلفة إعادة رسملة البنوك إلى حوالى 25 بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي». تقول مصادر متابعة إنّ «الأزمة الحادة التي تُعانيها المصارف، وخطر الإفلاس الذي يُهدّدها، والخوف من الخسائر التي ستتسبب بها عملية قصّ الديون، دفعت بها إلى هذا الإعلان»، الذي لا يزال بلا قيمة عملية له. أضف إلى ذلك أن المصارف تريد تقديم «رشوة صورية» للدولة، من خلال التلويح باستعدادها لإعادة جدولة الدين الداخلي (بالليرة اللبنانية)، لإغراء الحكومة بدفع الديون الخارجية (اليوروبوزدر - بالدولار)، التي تحمل المصارف اللبنانية الجزء الأكبر منها، وتستحق الدفعة الأولى منها لهذا العام في آذار المقبل.

يتحضّر نواب لإطلاق حملة تُجبر المصارف على خفض فوائد التسليفات (مروان طحطح)

تقرير

ثالث حكم قضائي في النبطية ينتصر للمودعين: المصارف لا تأبه للقانون

آمال خليل

للمرة الثالثة على التوالي، أصدر قاضي الأمور المستعجلة في النبطية أحمد مزهر حكماً ضدّ فرع بنك بيبلوس في النبطية، بناءً على شكوى من أحد المودعين. تشبه الشكوى ما سبقها من ادعاءات ضد المصرف وسواه من حجز أموال الناس. فيما يشبه الحكم ما سبقه من أحكام قضائية ضد عدد من المصارف في المناطق كافة، نصرة للمودعين. لكن يبدو بأن المصارف لا تأبه للقانون ولا تستشعر في الأساس بهيبة القضاء والدولة. في الوقت الذي يتمسك المصرفيون بإجراءاتهم التعسفية الرامية إلى احتجاز أموال المودعين، يعمد أصحاب المصارف إلى استئناف الأحكام القضائية، متفاخرين برفضهم تنفيذها. علماً بأن مزهر نفسه (الذي كان أول قاض يصدر حكماً ضد مصرف نهاية تشرين الثاني الماضي)، تعرّض لضغوط سياسية وقضائية تمنّت عليه عدم إصدار أحكام أخرى ضد المصارف «حماية لمصالحها وسمعتها».

في حكمه الجديد، نظر مزهر في شكوى مواطنة في السادس من الشهر الجاري، ادّعت بأن «بيبلوس - النبطية» تمنّع عن سحب أموال من حساب ابنها برغم تنظيم الأخير لها وكالة خاصة في سفارة لبنان في باريس في 26 أيلول الماضي. بعد خمسة أيام، أي يوم الثلاثاء الماضي، تقدم «بيبلوس» بلائحة ملاحظات رداً على الشكوى قال فيها إنه «لا يمانع تسليم المستدعية قيمة الحساب، لكنه طلب إضافة بعض الصلاحيات على الوكالة الموجودة معها كي تتمكن من توقيع بعض المستندات بالنيابة عن العميل أي ابنها». وبرغم أن المواطنة أبلغت بحاجتها إلى المال «لاستكمال علاجها من مرض السرطان»، لاحظ «بيبلوس» بأن «السبب الذي تستند إليه المستدعية لا يستتبع توافر عنصر العجلة والخطر الداهم والمحدق والأكيد». لكن مزهر لاحظ بأن الوكالة المنظمة في سفارة لبنان في باريس من الابن لأمه «يعطيها حق التصرف المطلق والكامل بالحساب المصرفي وتكون صاحبة صفة ظاهرة للتقدم بالطلب الراهن». كما وجد بأن «قاضي الأمور المستعجلة لديه صلاحية اتخاذ التدابير المستعجلة في المواد المدنية والتجارية من دون التعرض لأصل الحق». أما عن مبرر سحب المال، فقد لفت مزهر في نص حكمه إلى أن المواطنة أبرزت تقريراً طبياً يثبت مرضها بالسرطان، أقرنته بحاجتها إلى علاج شعاعي. المصرف اعتبر العلاج سبباً واهياً وتافهاً وغير ثابت، فيما الحق في الصحة والحصول على الطبابة منصوص عنه في القوانين الدولية. وما تذرع به «بيبلوس» للامتناع عن تسليم المستدعية المال الموجود في حساب ابنها، لا يبرر هذا الامتناع، لأن بإمكانها التوقيع على أي أوراق بوكالتها عن ابنها التي أتت مطلقة لناحية التصرف بالمبلغ وسحبه وأعطتها حق التوقيع على جميع الأوراق المصرفية. ولأنه لا وجود لنص قانوني يوجب وجود نص خاص في الوكالة يجيز صلاحية التوقيع على الأوراق التي يطلبها المصرف، فتكون إدلاءات «بيبلوس» مخالفة لأحكام الوكالة المنصوص عنها في قانون الموجبات والعقود اللبناني، ومستوجبة للإهمال. وتوقف مزهر عند حالة المواطنة في ظل عدم وجود أي سند قانوني لامتناع «بيبلوس» عن صرف الوديعة، ما يمنعها من تلقي علاجها، وهو الحق الأجدر بالحماية من حق المصرف بل من أي حق آخر لأنه يتعلق بحقها في الحياة وفي الوجود كإنسان يستحق الرعاية وبأمواله الخاصة.

وختم مزهر حكمه بالإشارة إلى «العجلة الماسة والمحدقة التي تحتاج إلى اتخاذ قرار مباغت من دون اتباع الأصول النزاعية بسبب طبيعة الحق المراد حمايته وبسبب حاجة المستدعية إلى العلاج من المرض العضال». من هنا، ألزم المصرف تسليم المواطنة مبلغ حوالى 11 مليون ليرة وهو متوافر في حساب الوديعة التابعة لابنها وبتغريمه مليون ليرة عن كل يوم تأخير.

برغم ما ورد في حكم مزهر، لم يتوان «بيبلوس» عن تكرار أسباب رفضه تسليم الوديعة، لأن الوكالة لا تتضمن الصلاحيات المطلوبة وفقاً للقوانين والتعاميم المرعية الإجراء المتعلقة بالحسابات. وفي بيان أصدره تعليقاً على الحكم، قال إنه طلب من المواطنة «إبراز وكالة جديدة تتضمن الصلاحيات المطلوبة».

تقرير

القوات إلى جانب الكتائب: لا سلطة ولا معارضة!

يقف حزب القوات اللبنانية للمرة الأولى الى جانب الكتائب اللبنانية. ليس من باب وحدة الصف طبعاً، إنما لخروجه من باب السلطة العريض واستحالة الترحيب به في الشارع... ولو حاول الدخول من كل نافذة متوفرة. لكن معراب حسمت أمرها «بالمعارضة من داخل المؤسسات»، وسط خلو اجندتها من أي مشروع سياسي جدّي

أولوية معراب «الضغط باتجاه إجراء انتخابات نيابية مبكرة وانقاذ لبنان من الأزمة الاقتصادية» (هيثم الموسوي)

رلى ابراهيم

هل حزب القوات اللبنانية جزء من السلطة أم هو في صفوف الانتفاضة؟ تساؤل كان يصعب حسم الإجابة عليه في الأشهر الثلاثة الماضية، منذ إعلان وزراء القوات استقالتهم من الحكومة بعد يومين على انتفاضة 17 تشرين. يومها، بدا القواتيون وكأنهم يسيرون على دعسات الكتائب اللبنانية: لا هم قادرون على التغريد خارج «النظام السياسي» ولا استقبلوا في الشارع بحفاوة الأبطال. القوات هي القوات، حتى لو استبدل القناع بالآخر تماماً كما بقيت الكتائب مرفوضة نسبياً من المنتفضين أو المعارضين للطبقة الحاكمة، منذ ما قبل الانتفاضة، وتحديداً خلال الانتخابات النيابية الأخيرة وبعدها. رشق النائب سامي الجميل بالمياه وعزل بعض الكتائبيين في ساحة الشهداء دليل دامغ. ساهم ذلك في عدم إعلان القوات عن وجودها في الشارع وقطعها الطرقات، لأسباب سياسية أولاً وشعبية ثانياً. فمجرد صبغ المنطقة التي تقطع فيها الطرقات بالبدلة الزيتية كان كفيلاً بفقدان «الثورة» لمصداقيتها ولجديّة مطالبها. وربما شكل ما سبق عنصراً أساسياً في تحديد القوات لموقعها، بعد تخبط ثلاثة أشهر ما بين الموالاة والمعارضة.

بدا الأمر واضحاً في القرار الذي اتخذته معراب بحضور جلسة الثقة والتصويت سلبياً للحكومة رغم طلب المتظاهرين من النواب عدم حضور الجلسة. يطيب للقوات أن تصف حركتها بالـ «المعارضة من الداخل» لما يؤمنه ذلك من مفاوضات لاحقة في اللحظات السياسية المصيرية. يتعلق الأمر أيضاً بميزان الخسائر والربح الذي لم «يطبش» للجهة الرابحة، بل بقي على خط مستقيم. ففيما رئيس الهيئة التنفيذية في الحزب سمير جعجع لم يتمكن من تحقيق أي ربح وزن جراء خروجه من الحكومة وانضمامه الى «الثوار»، حدّ من خسائره بعدم تمثيله في الحكومة الحالية.

منذ الثلاثاء الفائت، دار حديث عن نقمة قواتية داخلية تجاه حضور نواب الحزب لجلسة الثقة. لكن الواقع يبدد هذه الأقاويل ويحدها باعتراض هامشي لا يعوّل عليه. ويقول أحد النواب القواتيين إن المطلب الأساسي للحزبيين منذ ما قبل الجلسة كان التمنّي علينا «إما التوجه الى البرلمان لأداء الواجب النيابي بإعطاء الثقة أو حجبها أو الاستقالة. المشكلة كانت في وقوفنا بين الضفتين: نواب ومقررين ما نكون نواب. لذلك حسمنا أمر الحضور منذ أسبوع». تعارض في الشارع، نقطة إيجابية لصالح القوات بحسب رئيس جهاز الإعلام والتواصل في حزب القوات اللبنانية شارل جبور. فمن يُريد المقاطعة بنظره، كان يفترض ألا يشارك في استشارات التأليف والتكليف لأنها مسار متكامل. الحزب «يتخذ مواقفه انطلاقاً من قناعاته ورؤيته الوطنية وليس من خلفية شعبوية أو مسايرة لطرف من دون الآخر. كذلك كانت استقالاتنا قناعة منا وليس بطلب من الناس، كما أن مطالبتنا بحكومة اختصاصيين سبقت مطالبة الناس بها وبالتالي لم نسر وراء أحد». لا نية لتعليق العضوية القواتية في البرلمان، يؤكد جبور، «نحن دعاة تغيير من داخل المؤسسات وليس خارجها... التغيير الذي يطالب به الناس».

إذاً، حسمت القوات خيارها في «الانتفاض» من داخل جدران ساحة

> **لم «يطبش» ميزان ربح القوات بعد استقالة وزرائها ومحاولتها الانضمام إلى الانتفاضة**

النجمة، وفي انتظارها أعمال الحكومة لتحدد موقفها منها: «إذا نجحت في معالجة الوضع المالي سنصفق لها وإذا لم تنجح، تتحمل الأكثرية النيابية مسؤولية الانهيار». وبين هذا وذاك، مشروع القوات السياسي معلّق الى أجل غير محدّد. ففعلياً، لا تأثير سياسياً لمعراب اليوم في المعادلة القائمة، وانتهى زمن مراقبة وزراء التيار الوطني الحر للانقضاض عليهم. ولو أن حرب «الشائعات» التي ينشرها موقع القوات اللبنانية عن رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل بدأت لتوّها. وهي جاءت استكمالاً لعمل نواب ووزراء القوات في الحكومة السابقة الذين تفرغوا لإسقاط باسيل شعبياً، ولكنهم أسقطوا وزاراتهم من الرقابة والحسبان، إذ يصعب الوقوع على إنجاز واحد يلامس الشعب في وزارات تُعنى بالناس مباشرة كوزارة الشؤون الاجتماعية التي شغلها القواتيون لولايتين، ووزارة العمل. وهو ما يرد عليه جبور بتأكيد أن «الخطة غير المسبوقة في وزارة العمل والشغل جبار في كل الوزارات. لكن الوزير أيضاً مسؤول عن كل جدول الأعمال ولا يمكننا التفرج على أكبر عملية لهدر الأموال في ملف الكهرباء». ما هي خطة معراب بعد نيل الحكومة الثقة؟ «الضغط باتجاه الذهاب الى انتخابات نيابية مبكرة والعمل ضمن التكتل السياسي لإنقاذ لبنان من الأزمة الاقتصادية غير المسبوقة» يقول جبور. لكن التعويل على انتخابات نيابية مبكرة بمثابة تسليف في الوقت الضائع في ظل عدم التوافق على الأمر أولاً ولا على القانون الانتخابي ثانياً. إلا أن للقوات رأياً آخر، يقضي باعتماد القانون الحالي وهو ما لا يتوافق مع رأي الأغلبية في الشارع الراغبة بقانون نسبي من خارج القيد الطائفي.

للمرة الأولى في السنوات العشر الأخيرة، تقف القوات إلى جانب الكتائب: لا سلطة ولا معارضة حقيقية. رغم محاولة الكتائب فرض نفسها على الانتفاضة بالقوة ومن كل نافذة متوفرة وصولاً الى تعليق عضوية النواب من دون الاستقالة، بتخبط الحزبان اليوم في الفوضى نفسها، ولو أن الفارق بين رئيسي الحزبين كبير جداً. ففي وقت لا تزال أبواب السعودية مفتوحة حصراً لجعجع أكان مالياً أم معنوياً، لا يحظى آل الجميل بالترف نفسه. في الأسبوعين الأخيرين، زار الوزير القواتي السابق ملحم رياشي الرياض مرتين للقاء المستشار في الديوان الملكي نزار العلولا. يقلل القواتيون من أهمية اللقاء واضعينه في إطار «الحفاظ على العلاقات الخارجية»، فيما يشير جبور إلى أن الحديث عن تمويل السعودية لمعراب مجرد شائعات، وزيارة رياشي «أمر روتيني ونوع من استطلاع المواقف الخارجية حول الحكومة ومدى استعداد الخارج لمدّ لبنان بمساعدات مالية». ما يطرح سؤالاً حول خصّ الرياض وحدها بهذا «الاستطلاع» دون غيرها من البلدان وحول ما كانت لتفعله القوات لو زار أحد القياديين الحزبيين طهران لمعرفة رأيها بحكومة لبنان. أميركياً، تقول المصادر إن القوات خارج اهتمام أي مسؤول في الإدارة، ولو أنها تعمل للتسويق أخيراً في واشنطن بأن «الجيش اللبناني أيضاً رهينة لحزب الله». ربما يتعلق الأمر بخوف جعجع من ارتفاع أسهم قائد الجيش في الولايات المتحدة الأميركية وارتداداته على انتخابات رئاسة الجمهورية المقبلة.

قضية

جيش العاطلين من العمل يتضخّم

لا هدنة في قضية عمليات الصرف من العمل. ففي كل يوم ثمة شكاوى من فقدان عمال لأشغالهم، بحجة تردي الأوضاع الاقتصادية. شكاوى بالجملة والمفرّق يحملها من صاروا عاطلين من العمل يودعونها وزارة العمل من دون أن يحظوا بالبديل. اليوم، وفي التقرير السنوي لـ«العمل» عن عمليات الصرف، زاد أعداد المصروفين العام الماضي (2019) عن العام الذي سبقه، وفاقت الزيادة في بعض أنواع الشكاوى الـ100٪

(مروان طحطح)

رأجانا حمية

في آخر «سلّة» صرفٍ من العمل، كان دور عمال «Le mall» في منطقة سن الفيل. 500 عامل وعاملة سُرّحوا من العمل في المجمّع التجاري وانضموا إلى لائحة المصروفين التي تكبر يوماً بعد آخر. هؤلاء ليسوا 500 «حاف». هم، بالمنطق الاقتصادي، 500 عائلة خسرت لقمة عيشها دفعة واحدة بسبب «تردّي الأوضاع الاقتصادية»، كما يأتي في كل بيان صرف يذهب ضحيته مثل هؤلاء. وفي ظل ازدياد حدّة الأزمة، يمكن القول، بثقة، إن هؤلاء ليسوا «الدفعة الأخيرة». ثمة جيش «منتظر» ممن سيحملون صفة العاطلين من العمل. هذا ما تقوله «عدّادات» الوزارات المعنية والنقابات التي لا تنفكّ تسجّل شكاوى المصروفين، فردية كانت أو جماعية. ففي كل يوم ثمة من يشتكي الخسارة. وفي نهاية تلك الشكاوى، سيصدر في كل عام تقرير «رسمي» يعدّد الخسارات وأعداد من صاروا بلا لقمة عيش.

بعد أيام، سيصدر التقرير السنوي لوزارة العمل ـ «الوصية» على حقوق العمال ـ من المفترض أن يتضمّن أعداد المصروفين العام الماضي (2019). سيكون التقرير مجرّد توثيق للمشكلة، من دون وضع إطار للمعالجة، إذ إن «وظيفة» هذه الوزارة حتى اليوم يقتصر على «العدّ». في التقرير الأخير، ترصد مصلحة القوى العاملة في الوزارة الشكاوى الفردية والجماعية، وطلبات التشاور التي تتقدم بها المؤسسات التي تنتج نحو الإقفال، حتى نهاية العام الماضي، قيْد الشكاوى الفردية بحسب المناطق الإقليمية، فقد سجلت منطقة جبل لبنان العدد الأكبر من الشكاوى التي بلغت 1099 شكوى (657 شكوى في دائرة جبل لبنان الشمالي التي تضمّ المتن وكسروان وجبيل و442 شكوى في دائرة جبل لبنان الجنوبي التي تضم بعبدا والشوف وعاليه). بعد الجبل، تأتي العاصمة بيروت بعدد شكاوى فردية بلغت 605، ومن بعدها دائرة الشمال بـ296 شكوى فردية ودائرة الجنوب بـ153 ودائرة النبطية بـ114 ودائرة البقاع بـ71 وآخرها بعلبك الهرمل بـ6 شكاوى فردية. أما دائرة عكار، فلم يكن ثمة تبليغ من هناك. مع ذلك، تبقى هذه الأرقام هي الخلاصة «الموثّقة» عن عمليات الصرف، من دون أن يعني ذلك أنها نهائية. فليس من فقدوا أعمالهم في قضاء الهرمل 6 عمال فقط، وليس أهل عكار مترفين. يمكن إيراد سببين لهذا النقص، أوّلهما أن الكثير من طلبات الصرف «تحلّ حبيّاً مع صاحب العمل»، يقول كاسترو عبد الله، رئيس الاتحاد الوطني لنقابات العمال والمستخدمين (fenosol). وغالباً ما تتم هذه الطريقة بالاتصالات المباشرة، حيث تنتهي «القصّة بأرضها» ولا

> سجلت منطقة جبل لبنان العدد الأكبر من شكاوى الصرف الفردية بلغت 1099

تعرف بها وزارة الوصاية ولا مجالس العمل التحكيمية. كذلك، لدى بعض النقابات التي تهتم بأمور الموظفين، ثمة جزء من الشكاوى تسقط من سجل الصرف في وزارة العمل أيضاً بالطريقة «الحبيّة»، بوساطة الأخيرة، التي تعمل على «تحسين» شروط الصرف. ثمة سبب إضافي، وهو أن الكثيرين من المصروفين لا يبلّغون عن صرفهم، لبأسهم من طريق القانون في تحصيل حقوقهم؛ فالشكوى التي يفترض أنها تحمل صفة «العجلة»، تُبيت في مجالس العمل التحكيمية أعواماً قبل تسويتها التي تتم «في الغالب لصالح رب العمل، بسبب تواطؤ ممثلي العمال مع ممثلي أصحاب العمل»، على ما يقول عبد الله. هذه الأسباب تجعل من الرقم الرسمي رقماً هزيلاً، عدا عن كونه ليس الوحيد. فوزارة العمل ليس الملاذ الوحيد للشكوى، إذ ثمة أرقام كثيرة تضيع بين النقابات والاتحادات العمالية. ففي جعبة الاتحاد الوطني لنقابات العمال والمستخدمين، مثلاً، سجّل ما يفوق «2000 شكوى ما بين فردية وجماعية، منذ منتصف العام 2019 حتى نهايته». يفنّد عبد الله تلك الجردة بما بين 800 شكوى فردية و50 شكوى عمل جماعية و80 شكوى على الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي و200 شكوى أمام مجالس العمل التحكيمية و90 شكوى تم التوصل فيها الى حلول حبّية. وهي «ليست كلها مسجلة في وزارة العمل». ويذكر، على سبيل المثال لا الحصر، 150 مصروفاً من عمال المرفأ ونحو 170 عاملاً في المطار (مع مجموعة شركات) و40 عاملاً في مخابز الـ«وودن» و170 عاملاً في مطعم «بابل»، وغيرهم. وفي جعبة الاتحاد العمالي العام مجموعة أخرى من الأعداد. لكل أعداده، وبحسب إحصاء «الدولية للمعلومات»، ثمة 9 آلاف عامل صرفوا في الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام الماضي! بغضّ النظر عن الرقم المهول، الذي يضم ليس حصراً أعداد شكاوى الصرف، بل يشمل أيضاً إفادات «ترك العمل» في الضمان، إلا أن الواقع على الأرض يقول إن الأرقام «مرشحة للارتفاع»، على ما تقول رئيسة دائرة مراقبة عمل الأجانب في وزارة العمل، مارلين عطا الله. تبني الأخيرة توقعاتها على ما تشهده الوزارة والدوائر الاقليمية في كل يوم، وعلى ما كان عليه الوضع عام 2018. وفي مقارنة للواقع ما بين العام الماضي والسابق له، فقد ازدادت أعداد الشكاوى الفردية 551 شكوى، والجماعية 61 شكوى، وطلبات التشاور 127... والعدّ مستمر. أما ماذا عن الحلول؟ فلا اقتراحات، لا من الاتحاد العمالي العام الغائب كلياً عن قضايا عماله ولا حتى من وزارة الوصاية. وآخر ما كان مطروحاً في فترة الولاية السابقة أن الوزير كميل بو سليمان وضع خطة يفترض أنها تحمل صفة «العجلة»، لمتابعة قضايا الصرف، كما إعداد خطة طوارئ لدراسة طلبات الشركات لبتّها. أما اليوم، فما تفعله الوزارة هو دعوة اللبنانيين إلى القبول بوظائف برواتب متدنية!

تقرير

تهريب الأموال عبر «ستوك» المقالع؟

أمال خليك

خصص البيان الوزاري للحكومة الجديدة بنداً خاصاً بالمرامل والكسارات. وتعهد رئيس الحكومة حسان دياب «استكمال تنفيذ سياسة الإدارة المتكاملة لقطاع محافر الرمل والأتربة والكسارات والمقالع، واعتماد مخطط توجيهي يلزم المجلس الوطني للمقالع والكسارات والأجهزة كافة». التعهد الجديد يشكل جزءاً من عشرات الوعود التي أطلقتها الوزارات والإدارات طوال سنوات طويلة للإلتزام بقوانين حماية البيئة وتنظيم المقالع والكسارات. لكن المشهد في الواقع: جبال متآكلة ومياه جوفية ملوثة وتهرب ضريبي بالمليارات.

تشخص الأنظار نحو الحكومة الجديدة وقدرتها على الوفاء بتعهداتها وضبط الفساد في الأجهزة المعنية بحماية الطبيعة، بالنظر إلى مسار الحكومة السابقة، استمرت الجرائم البيئية رغم ما ورد في قانون موازنة العام 2019 من تعهدات بتأمين إيرادات للموازنة. إذ نصت المادة 61 على «ملاحقة كل شخص استثمر عقاراً كمقلع أو مرملة أو كسارة، من دون الترخيص السابق فادي جريصاتي عن منح موافقته لعملها. الإذن والموافقة اللذان استندا الى شكوى المصلحة الوطنية لنهر الليطاني الليطاني، يعفيان صاحبهما من دفع الرسوم المتوجبة للدولة. مع ذلك، لم يرتدع البعض. فقد رصدت فرق المصلحة بداية الشهر الجاري، أعمال نقل «ستوك» رمول من محفاري رمل صناعي في العيشية و تلة خازم في الريحان. الأعمال سجلت في الكسارات استغل الوضع الأمني وفترة تصريف الأعمال الحكومية لتهريب «الستوكات» المتراكمة في مواقعهم مستفيدين من موافقات إدارية صادرة عن بعض الوزراء والمحافظين.

> بعض أصحاب الكسارات استغل الوضع الأمني وفترة تصريف الأعمال الحكومية لتهريب «الستوكات»

السابقة ريا الحسن في تشرين الأول الماضي سحب الأذونات من أصحاب بعض محافر الرمول والكسارات. كما تراجع وزير البيئة السابق فادي جريصاتي عن منح موافقته لعملها. الإذن والموافقة اللذان استندا الى شكوى المصلحة الوطنية لنهر الليطاني الليطاني، يعفيان صاحبهما من دفع الرسوم المتوجبة للدولة. مع ذلك، لم يرتدع البعض. فقد رصدت فرق المصلحة بداية الشهر الجاري، أعمال نقل «ستوك» رمول من محفاري رمل صناعي في العيشية و تلة خازم في الريحان. الأعمال سجلت في العقارين 1174 و1115 اللذين أوقفت الحسن الإذن لأصحابهما بنقل الناتج. الحفر والجرف تزامنا مع الأمطار الغزيرة، ما أدى إلى تضرر هائل في الينابيع والمجاري المائية وتلوث المياه بالرمول والأتربة.

هكذا تبدو أعمال نقل «ستوكات» الرمل او البحص، غطاءً لاستثمار محافر الرمل والبحص واستئناف الاعمال الإستخراجية. وفي انتظار انكشاف رؤية الحكومة لتنظيم المرامل والكسارات، تقبع في أدراج وزير الداخلية والبلديات الجديد محمد فهمي استشارة صادرة عن هيئة التشريع والإستشارات في وزارة العدل في كانون الثاني الماضي حول البند 3 من قرار مجلس الوزراء رقم 1 بتاريخ 2019/9/17 الذي ينص أن «على أصحاب المقالع القائمة والواقعة خارج المواقع المبينة في الخريطة المرفقة بالمرسوم والتي توجد فيها ستوكات رمل او بحص او صخر بتاريخ صدور هذا القرار، ضرورة التقدم من خلال المحافظين حسب الأصول بطلبات نقل هذه الستوكات وذلك خلال مهلة أقصاها شهر من تاريخه، حيث لا تبدأ أي اعمال نقل قبل موافقة وزارة البيئة وصدور الترخيص من وزارة الداخلية والبلديات، وفي جميع الأحوال، وبانقضاء ستة أشهر من تاريخ صدور هذا المرسوم يمنع نقل أي عملية نقل ستوك». لكن الإستشارة توصلت إلى أن القرار «غير قابل للتطبيق في المرحلة الراهنة كونه لم ينشر المرسوم الموافق عليه ولم يتم المصادقة على الخريطة المرفقة بمشروع المرسوم ووجوب حفظ جميع المعاملات المتعلقة بنقل ستوكات الرمل او البحص».

تقرير

خطة سير الضاحية 2020: البلديات تحاول مرة أخرى!

باشر اتحاد بلديات الضاحية الجنوبية لبيروت، مطلع الشهر الجاري، المرحلة الاولى من خطة سير الضاحية 2020. الخطة «الشاملة»، بحسب توصيف الاتحاد، تأتي بعد جملة خطط فاشلة مرّت بها اتحادات وبلديات سابقة، وهي تسعى بمرحلتها الاولى التي تكلف خمسة مليارات ليرة الى خفض الاختناقات المرورية بنسبة 40٪

رحيل دندش

في «عزّ» انهيار الوضع الاقتصادي في البلاد، انطلقت في الضاحية الجنوبية لبيروت ورشة «خطة سير الضاحية 2020». انطلاقة تأجلت سنوات طويلة، قبل أن يتخذ اتحاد بلديات الضاحية القرار مطلع الشهر الجاري بمباشرة تنفيذ المرحلة الأولى من الخطة (أعدّتها شركة «خطيب وعلمي» للاستشارات الهندسية) التي يُفترض أن تطال الطرقات الأساسية، بحسب ما يتلاءم وطبيعة الشوارع ويحقق أعلى قدر من انسيابية المرور.

التعاطي في هذا الملف يأتي من باب «ما هو كائن لا ما يفترض أن يكون عليه واقع السير»، بحسب المنسق الإعلامي في الاتحاد محمد نسر، إذ لا يزعم القيّمون على الدراسة حلّاً مثالياً لمشكلة السير، لكن على الأقل تسعى الترتيبات المعدّة إلى «خفض الاختناقات المرورية بنسبة قد تصل إلى حدود 40%».

تتضمن المرحلة الأولى تغيير وجهة سير في بعض الطرق ذات الاتجاهين إلى طرق باتجاه واحد أو عكس اتجاهاتها. فعلى سبيل المثال، سيتحوّل شارع بئر العبد - من المشرفية باتجاه فرنسبنك في شارع الرويس - باتجاه واحد جنوباً، فيما الشارع الممتد من ساحة القدس إلى ساحة الغبيري مروراً بحارة حريك سيتحوّل باتجاه واحد شمالاً. وسيأخذ الخط الممتد من جادة هادي نصر الله إلى مجمع القائم اتجاهاً واحداً من الغرب إلى الشرق. وتشمل هذه المرحلة أيضاً إعادة تأهيل 18 تقاطعاً من أصل 30، إضافة إلى الشوارع المتفرعة منها، وتركيب إشارات توجيهية وتحذيرية ومرورية وإشارات ضوئية، وتنظيم أماكن وقوف السيارات وتأمين مواقف للعموم، وإنشاء غرفة تحكم مروري خاصة

> تشمل المرحلة الاولى تغيير وجهات السير وإعادة تأهيل 18 تقاطعاً من أصل 30

بالضاحية، بالتنسيق مع قوى الأمن الداخلي وتطبيق نظام الوقوف مقابل بدل مالي (بارك ميتر).

هذا الجزء من الخطة، تضع له «الإدارة» حداً زمنياً ينتهي مع بداية أيار المقبل، من دون احتساب التأخير الذي قد يطرأ بسبب بعض العوامل، ومنها «ارتفاع سعر الدولار اكثر او بروز عوائق مناخية»، بحسب نسر. ما لم يحدث ذلك، من المفترض أن تبلغ كلفة هذه المرحلة خمسة مليارات ليرة، عمل الاتحاد على تأمينها من «مستحقات البلديات في الصندوق البلدي المستقل». يضع نسر الخطة في إطار «التحدي» لحلّ أزمة مستعصية. فرغم الأوضاع المالية الدقيقة التي تمر بها عموم البلديات، وتأثيرات سعر صرف الدولار على أسعار البضاعة المستوردة في غالبيتها، إلا أن ذلك «لم يحل دون المضي في تنفيذ الخطة لحل أزمة كبيرة يواجهها المواطنون بشكل شبه يومي».

خفّض الاختناقات المرورية 40% هي نسبة «مثالية» قد تتوصل إليها الخطة. هذا ما يقوله الاتحاد عن خطته «الأولى من نوعها»، إذ إن الخطة «شاملة»، على عكس ما جرى من محاولات بلدية سابقة باءت بالفشل، بسبب انطلاقها من «نقاط موضعية لم تأخذ في الاعتبار المنطقة بشكل عام، ومداخلها ومخارجها بشكل خاص»، إضافة الى النقص الذي تعاني منه مناطق الضاحية على صعيد التنظيم المدني، والافتقار إلى شبكة طرقات حديثة، فضلاً عن الاكتظاظ السكاني، إذ ثمة تقديرات تشير إلى أن تعداد سكان المنطقة يفوق مليون نسمة (يشمل آلاف اللاجئين السوريين والفلسطينيين) في مساحة لا تتعدى 30 كيلومتراً مربعاً، ويدخلها يومياً نحو 250 ألف سيارة، ما يجعل زحمة السير أمراً لا مفر منه. هذه أسباب كافية لجعل الخطة أولية، ولو في عزّ أزمات البلد.

في التفاصيل، ترصد الخطة الكثير من المشاكل التي تقود إلى «أزمة السير»، والتي تتركز عند الانتقال من شرق الضاحية إلى غربها، ولكم أن تتخيّلوا حال الطرقات والمنعطفات التي يجب على المرء قطعها و«لفّها» للانتقال من منطقة الأوزاعي إلى دوّار الصياد. هذا الواقع وغيره لحظته الخطة في بنودها، وإن كان الحل «النهائي» مرتبطاً بـ«وظائف» الدولة، من إنشاء جسور واتفاق لتسهيل الانتقال من الشرق إلى الغرب وبالعكس، إضافة إلى تأهيل الطرقات والأوتوسترادات الدولية، وما يصاحب ذلك من اعتمادات واستملاكات لتنفيذ المهام. وهذه مهام شاقة، ما يدفع إلى السؤال عن جدوى هذه الخطة في ظلّ تقاعس الدولة عن القيام بواجباتها، وكيف ستنجح خطة يُنفّذ شق واحد منها يتعلق باتحاد البلديات؟ عن هذه الأسئلة، يجيب نسر بأن «المهم هو البدء بالتنفيذ، ولو في الجزء المتعلق بمهامنا». ضمن هذا الجزء، يطمئن الاتحاد الى حسن سير المشروع، خصوصاً أن «كل شيء مدروس ومطمئن لسير الخطة بالتعاون مع المواطنين الذين يريدون تسيير شؤون حياتهم». ما عدا ذلك، يبقى انتظار الدولة الغارقة في «خطاياها» الاقتصادية.

(مروان طحطح)

خسر الأنصار مباراته الآسيوية الأولى أمام الكويت الكويتي (موقع الاتحاد الآسيوي)

الكرة اللبنانية

الأنصار في آسيا: «شبه إنجازات» لا ألقاب

خسارة أولى للأنصار آسيوياً. هو لم يستحقها إلى حدّ ما بحُكم الأداء الذي قدّمه خلال اللقاء أمام الكويت الكويتي. وأيضاً بحُكم الظروف التي عاشها كما غيره في لبنان خلال الأشهر الثلاثة الماضية. لكن «الأخضر» الذي لطالما امتلك طموحات خارجية، يأمل ألّا يحصد الخيبة التي عرفها على الساحة الآسيوية رغم مشاركاته الكثيرة في مختلف مسابقاتها

شربل كريّم

لا يخفى أن الأنصار هو الفريق الأكثر مشاركة في المسابقات الآسيوية بين الفرق اللبنانية، وهو أمر طبيعي كونه الأكثر حصداً للألقاب المحلية، إذ حمل كأس بطولة الدوري 13 مرّة، وكأس لبنان في 14 مناسبة.

القاب أضيفت إلى مشاركاته القارية، حيث أطلّ في 11 نسخة من بطولة الأندية الآسيوية (دوري أبطال آسيا حالياً)، وفي 5 نسخات في كأس الاتحاد الآسيوي، إضافة إلى مرتين في كأس الكؤوس الآسيوية التي انطلقت عام 1991 وتوقفت عام 2002، حيث توزّعت الفرق الفائزة باللقبين المحليين على البطولة الأم، ومن ثم وزّعت بين البطولة الكبرى وتلك الأصغر منها أي كأس الاتحاد بعد إطلاقها عام 2004، وذلك بحسب معايير محدّدة وضعها الاتحاد الآسيوي تفصل بين الدول التي تنظّم دوري محترف، ودول أخرى لا تزال تنظّم دوري هواة أو لا تملك هوية واضحة على هذا الصعيد، أي أنها تتراوح بين الهواية ونصف الاحتراف إذا صحّ التعبير.

خلال كل تلك المشاركات الكثيرة، عرف الأنصار محطات مجيدة، أبرزها بالتأكيد بلوغه الدور ربع النهائي 3 مرات في بطولة الأندية الآسيوية، وهي مسألة ليست بالبسيطة أبداً، لكن هنا ينقسم الرأي بين من يقول بأنه كان بإمكان النادي البيروتي الذهاب بعيداً في المسابقة الأكبر كونه ضمّ وقتذاك أبرز نجوم اللعبة في لبنان، وبين من يقول بأنه كان من المستحيل على الأنصار الفوز بأيّ لقب آسيوي بسبب قوة الفرق التي واجهها غالباً، وفي نفس الوقت يعتبرون أن ما قبل إنه إنجاز ببلوغ ربع النهائي في أكبر قارة في العالم هو دليل ملموس على أن «الأخضر» لم يسيطر على اللقب المحلي بفضل مساعدة من خارج الملعب، ولو أن هذه النقطة تحديداً تفتح جدالاً لم ينته أصلاً منذ سير الأنصار في تلك السلسة القياسية من النجاحات التي أدخلته موسوعة غينيس.

لكن بشكل أو بآخر، فإنّ الاضاءة على نقطة احتكار الأنصار لبطولة الدوري اللبناني وتمتّعه بوجود كوكبة من النجوم التاريخيين في صفوفه والأسماء الكبيرة التي لا تُنسى، وخلفهم مدير فني عظيم هو عدنان الشرقي (من دون نسيان دور رفيقه الدائم المدرب محمود برجاوي «أبو طالب» والكادر التدريبي المساعد)، يترك مجالاً للكلام عن أن الأنصار اعتاد على حصد الخيبات رغم طموحه الكبير بإحراز لقب خارجي، ليسجّل نفسه مجدداً على رأس كتّاب وصنّاع تاريخ كرة القدم اللبنانية، وهو ما سبقه إليه العهد في الموسم الماضي برفعه كأس الاتحاد الآسيوي.

تلك المسابقة التي يدخلها الأنصار بطموحات غير خفيّة على أحد، جعلته يعمل بعكس التيار بالنسبة إلى كل الفرق التي لا تزال تنشط بعد الأزمة التي عصفت بلبنان، فحافظ على استقرار مالي في ما خصّ ارتباطاته باللاعبين، وعمل على عدم الاستغناء عن أيّ لاعب أجنبي لا بل إنه تعاقد مع مدرب جديد، وعمل على تعزيز صفوفه أكثر.

كل هذا من أجل كأس الاتحاد التي خرج الأنصار منها من دور المجموعات في كل مشاركاته السابقة، محققاً نتائج لا تترك أي ذكرى على شاكلة تلك التي

> هل حان وقت الأنصار لمحو الخيبات الآسيوية وتسطير إنجازات بالكؤوس لا بالنتائج؟

تركها للمتابعين في تسعينيات القرن الماضي في بطولة الأندية الآسيوية، والتي اعتبرها الأنصاريون إنجازات رغم عدم الفوز باللقب، وذلك لأسباب واضحة وصريحة، وهي أن شكلّ البطولة الآسيوية سابقاً كان أكبر من كرة القدم اللبنانية، لكن الأنصار تمكّن من فعل ما اعتُبر مستحيلاً في مراتٍ عدة، من دون أن يسقط المنطق الذي يُختصر بوجود فرق يابانية، صينية، سعودية، إماراتية، إيرانية وغيرها في دائرة المنافسة التي دخلها، وهي فرق كانت قد سبقت بلدانها لناحية التطور الكروي ووصلت إلى كأس العالم واستقطبت أجانب على مستوى عالٍ جداً بغية الفوز بالكأس الأهم.

العودة إلى موسم (1993-1994)، وهو الموسم الذي بلغ فيه الأنصار ربع نهائي بطولة الأندية الآسيوية بعد 3 مشاركات سابقة، تعيد إلى الذكرى تلك المباريات الكبيرة التي قدّمها «الزعيم»، والتي بدأها بإقصائه الاتحاد القطري في عقر داره في الدور التمهيدي، حيث قلب تأخره أمامه إلى فوز (3-1) بعد تعادلهما (0-0) في بيروت. بعدها كان التعادل السلبي حاضراً في لقاءي الذهاب والإياب أمام باس طهران الإيراني، لكن الأنصار حسمها (5-4) بركلات الترجيح ليبلغ ربع النهائي الذي ضمّ 6 فرق فقط تمّ تقسيمها على مجموعتين، فاحتلّ بطل لبنان المركز الثالث في المجموعة الأولى خلف فيردي كاواساكي الياباني وعُمان الذي عاد وبلغ المباراة النهائية التي خسرها أمام تاي فارمرز بنك التايلاندي.

بعدها بموسم واحد فقط (1994-1995)، وصل الأنصار إلى نفس المرحلة بعد مباراة لا يمكن نسيانها وشهد عليها ملعب بلدية برج حمود. هناك دخل الأنصار إلى لقاء الإياب

بورتريه

«النسر النيجيري» فيكتور أوسيمين

بائع المياه يحلّق في سماء الدوري الفرنسي

بين أزقة الأحياء الشعبية في مدينة لاغوس النيجيرية، نشأ شاب، لم يكن يوماً ليتوقّع أنه سيصبح من بين أفضل لاعبي الدوري الفرنسي الممتاز. فيكتور أوسيمين، صاحب الـ21 عاماً، يقدّم موسماً استثنائياً مع نادي ليل الفرنسي. لم يكن فيكتور ليصل إلى ما هو عليه اليوم لولا العمل الكبير الذي قام به أخوه الأكبر أندرو، بعدما تحمّل مشقّة الحياة الصعبة في نيجيريا بهدف بلوغ أخيه العالمية

حسن رمضان

ولد فيكتور أوسيمين في 29 كانون الأول/ديسمبر 1998 في مدينة لاغوس النيجيرية من أب وأم نيجيريين. اكتسب شغفه في لعبة كرة القدم بسبب تعلّقه الكبير بأخيه الأكبر أندرو، الذي كان قد بدأ مشواره الكروي محلياً وكان من بين أبرز لاعبي البلدة التي كانت العائلة «الفقيرة» تقطن فيها. أندرو، وبسبب الفقر الذي كانت تعاني منه العائلة حينها، قرّر الاستغناء عن حياته المتعلقة بكرة القدم، والذهاب إلى الشارع، متحدّياً شقاء الحياة من خلال بيعه عبوات المياه للمارة. مساعدة العائلة لم يكن هدف أندرو الوحيد الذي دفعه ليدخل عالم العمل والتحديات الصعبة، فالغاية الأخرى التي دفعته لينتج المال هو فيكتور نفسه، أخوه الأصغر بين أخوانه الخمسة. رأى أندرو فيه موهبة كروية مميزة، ومن واجبه أن يعمل على تطويرها وعلى مساعدة والدهما لكي يصبح فيكتور لاعباً حقيقياً (كان هدف أندرو هو تسجيل أخيه فيكتور في إحدى الأكاديميات المحلية في نيجيريا). من هنا، وتحديداً من مدينة لاغوس، بدأ مشوار فيكتور أوسيمين في عالم كرة القدم.

فيكتور، بالإضافة إلى أندرو والعائلة، كانوا من بين أبرز المشجعين لفريق «سوبر إيغلز» المحلي النيجيري. لاعب ليل الفرنسي الحالي كان متعلّقاً ومشجعاً حقيقياً لنادي تشلسي الإنكليزي، فكان للمهاجم الإيفواري ديديه دروغبا «أيقونة» تشلسي السابق واحد أبرز وأهم اللاعبين الأفارقة، قطعة من قلب فيكتور، وهو يعتبره مثالاً أعلى في عالم كرة القدم. أندرو، لم يتوقّف عن مساعدة أخيه الأصغر فيكتور، فكان لديه الخيار في دخول المدرسة واستكمال تعليمه الأكاديمي، إلّا أنه رفض الفكرة تماماً، وذلك بسبب توجهه إلى الانخراط في مجال العمل وفي سنّ مبكر أيضاً.

> سجل أوسيمين حتى الآن 17 هدفاً وقدم 5 تمريرات حاسمة في 34 مباراة

وبالتالي تأمين المال الكافي لفيكتور لكي يستمر في بناء مستقبله الذي كان أندرو نفسه مؤمناً به كثيراً. لم يأخذ الأمر الكثير من الوقت، حتى جاء كشافو المواهب وأعلنوا لمسهم لشيء مميز في فيكتور أوسيمين، الذي وقّع على أول تجربة احترافية بالنسبة له مع أكاديمية «ultimate strikers» التي آمنت به وبقدراته. ومع دخوله الأكاديمية، بدأت أبواب النجاح تُفتح أمام فيكتور. الشاب النيجيري الذي كان يساعد عائلته من خلال بيع عبوات المياه، تلقى دعوة من مدربه أمونيكي ليكون حاضراً ضمن منتخب نيجيريا لما دون 17 سنة، ليصبح أوسيمين مشاركاً في الإنجاز المميز لهذا المنتخب الجميل، والذي تمثّل بالتأهل إلى بطولة كأس العالم تحت 17 سنة.

طريق العالمية

مع تأهل منتخب بلاده لبطولة كأس العالم لما دون 17 سنة، والتي أقيمت في أميركا اللاتينية وتحديداً في تشيلي، قدّم فيكتور أوسيمين أوراق اعتماده التي لاقت اهتماماً كبيراً من قِبل كشّافي المواهب المتخصصين لدى الأندية الأوروبية. هي بطولة أوسيمين بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، 10 أهداف سجلها أوسيمين في كأس العالم، وهو أكبر عدد أهداف سُجّل من لاعب واحد من بين لاعبي المنتخبات المشاركة، إضافة إلى حصده جائزة الكرة الفضية كثاني أفضل لاعب في البطولة. بكل بساطة، شكّلت بطولة كأس العالم معبراً بالنسبة إلى فيكتور، الذي سلكه وبأفضل الطرق، وبرهن على أن قدراته تستحقّ أفضل الأندية الأوروبية.

في 2015، تمكّن من حصد جائزة أفضل لاعب شاب أفريقي في العالم، الجائزة التي جعلت العروض تنهال على أوسيمين، من بينها عروض من أندية إنكليزية كبيرة، كمانشستر سيتي، أرسنال وتوتنهام. أوسيمين اختار عرض نادي فولفسبورغ الألماني في نهاية المطاف، نظراً إلى ارتفاع المردود المالي في العرض مقارنة بعروض الأندية الإنكليزية الأخرى. كان هدف فيكتور الأول هو مساعدة عائلته وليس النجومية، ولهذا السبب اختار النادي الألماني (أعلن أوسيمين في وقت لاحق أن ألمانيا هي أفضل الدول التي عاش فيها). بعد تجربته المميزة في كأس العالم، وتوقيعه عقده الاحترافي الأول مع أحد الأندية الأوروبية، لم تسر الأمور بالشكل المطلوب بالنسبة إلى أوسيمين. فبعد انقضاء 4 أشهر في فولفسبورغ، أصيب في كتفه، وابتعد عن الملاعب لما يفوق الستتين (هي إصابة مزمنة تعرّض لها أوسيمين وجعلته عرضة للإصابة أكثر من غيره من اللاعبين على مستوى الكتف). في 2018، وبعد أن ضاع حلم الشاب صاحب الـ19 عاماً حينها في اللحاق بمنتخب بلاده نيجيريا لخوض مونديال روسيا 2018، قبل النادي البلجيكي شارليروي التعاقد مع فيكتور على سبيل الإعارة. ومنذ ذلك الحين، استعاد أوسيمين ثقته بنفسه وعاد أفضل ممّا كان. ليقدّم موسماً استثنائياً برفقة النادي البلجيكي لعب خلاله 36 مباراة وسجّل 20 هدفاً.

في تموز 2019، انتقل أوسيمين إلى ناديه الحالي ليل، منذ ذلك الحين، يقدّم أوسيمين أداء مميزاً في فرنسا. سجّل النيجيري الصاعد في الموسم الحالي (2019 . 2020) 17 هدفاً وقدم 5 تمريرات حاسمة خلال 34 مباراة خاضها. وهذا ما سيؤدي إلى توجيه عدسات الكاميرات إلى الشاب النيجيري (21 عاماً)، إضافة إلى عيون المتابعين وكشافي الأندية الأوروبية الكبرى.

أخيراً ولسوء الحظ، عاد «شبح الإصابات» من جديد ليزور أوسيمين، بعد أن تعرّض لإصابة خلال مباراة فريقه الأخيرة في الدوري أدّت إلى خروجه من الملعب، ولكنه سيعود قريباً لتقديم العروض المميزة.

هي موهبة جديدة في نادي الشمال الفرنسي، بعد الإيفواري نيكولاس بيبي في الموسمين الماضيين، ومن المتوقّع أن يكون له دور كبير في المستقبل.

لعب أوسيمين في ألمانيا وبلجيكا قبل فرنسا (جان فرنسوا-مونيه - أ ف ب)

أبرز مباريات اليوم

اليوم 2020/2/15
الدوري الإنكليزي

ساوثهامتون x بيرنلي	14:30
نورويتش سيتي x ليفربول	19:30
الدوري الإسباني	
برشلونة x خيتافي	17:00
فياريال x ليفانتي	19:30
الدوري الإيطالي	
بولونيا X جنوى	19:00
أتلانتا X روما	21:45
الدوري الألماني	
هوفنهايم X فولفسبورغ	16:30
لايبزغ X فيردير بريمين	6:30
دوسولدورف X بروسيا مونشنغلادباخ	19:30
الدوري الفرنسي	
امين X باريس سان جيرمان	18:30
تولوز X نيس	21:00
الأحد 2020/2/16 الدوري الإنكليزي	
أستون فيلا X توتنهام	16:00
آرسنال X نيوكاسل يونايتد	18:30
الدوري الإسباني	
إشبيلية X إسبانيول	13:00
ريال مدريد X سيلتا فيغو	22:00
الدوري الإيطالي	
يوفنتوس X بريشيا	16:00
كالياري X نابولي	19:00
لاتسيو X إنتر ميلانو	21:45
الدوري الألماني	
كولن X بايرن ميونيخ	16:30
ماينز X شاكه	19:00
الدوري الفرنسي	
ليون X ستراسبورغ	16:00
ليل X مارسيليا	22:00

سبوت لايت

أمستردام ليست موناكو **مواهب أياكس لا تنضب**

اعلن نادي تشيلسي الإنكليزي توصله إلى اتفاق مع لاعب أياكس أمستردام حكيم زياش، على ان ينتقل إلى لندن مطلع الصيف المقبل. لاعب آخر يرحل عن التشكيلة المميزة التي قدمها الفريق الهولندي في الموسم الماضي. لتصل بذلك حصيلة المغادرين إلى خمسة. يسير أياكس على خطى موناكو الفرنسي، الذي قدم عام 2017 تشكيلة مليئة بالمواهب الشابة وصل خلالها إلى نصف نهائي دوري الأبطال كما توج بلقب الدوري. تخلى بعدها نادي الإمارة عن أغلب مواهبه الشابة من دون التعويض المناسب فأخذت نتائجه بالانحدار. سقط موناكو مقابل المال، فهل يسقط أياكس؟

حسين قحص

شكّل لاعبو المدرب إيريك تن هاغ حصاناً أسود في دوري أبطال الموسم الماضي. تشكيلة شابة وصل بها أياكس إلى نصف نهائي دوري أبطال أوروبا، ليتم إقصاؤه في الثواني الأخيرة أمام توتنهام. مشوار مشرّف قدمه الهولنديون، نجحوا خلاله في إخراج عدد من الأندية المرشحة للفوز باللقب. انتصاراتٌ متتالية غيّرت معادلات دوري أبطال أوروبا، بعد أن أظهر أياكس أنّ المال والخبرة ليسا العاملين الحاسمين للتألق في المسابقة الأوروبية الأبرز على صعيد الأندية. بدأ عرض الهولندي الكبير في دور المجموعات. أداءٌ عالٍ تأهّل إثره أياكس إلى دور الستة عشر كوصيفٍ لبايرن ميونخ من دون أيّ هزيمة، متفوّقاً على بنفيكا وأيك أثينا. مُني بعدها النادي الهولندي بخسارة في ميدانه أمام ريال مدريد في ذهاب دور الـ16، غير أنه تمكّن من إقصاء حامل اللقب في آخر ثلاث سنوات حينها برباعية تاريخية على ملعب السانتياغو بيرنابيو. التقى بعدها أياكس بيوفنتوس الإيطالي وتمكّن من التأهل على حساب رجال اليغري، لينتهي مشوار الهولنديين بعدها في دور نصف النهائي أمام توتنهام.

رافق نجاح أياكس الأوروبي سيطرة محلية على الألقاب، حيث توّج الفريق بلقب الدوري إضافةً إلى كأس هولندا. إثر التألق اللافت، شكّل النادي الهولندي سوقاً لكبار الأندية الأوروبية، التي تهافتت على شراء «أحفاد» يوهان كرويف. بدأ الأمر بالتخلّي عن دي يونغ الذي وقّع مع برشلونة في منتصف الموسم الماضي، ثم انتقل كل من ماتياس دي ليخت إلى يوفنتوس، لاسي شوني إلى جنوى، كاسبير دولبيرغ إلى نيس، وصولاً إلى حكيم زياش الموقع حديثاً مع نادي تشيلسي. التخلي عن أبرز نجوم الفريق أعاد إلى الأذهان نسخة موناكو الذهبية التي برزت عام 2017 مع المدرب ليوناردو جارديم، والتي انهارت بفعل بيع اللاعبين من دون التعويض الملائم.

شكّل النادي الهولندي سوقاً لكبار الأندية الأوروبية

> رافق نجاح أياكس الأوروبي سيطرة محلية على الألقاب

في السنوات القليلة الماضية، فرض موناكو نفسه كأحد أفضل الأندية الفرنسية على الصعيدين المحلي والأوروبي، غير أن المشروع الذي قاده المدرب جارديم انهار خلال أربع سنوات بسبب سوء الإدارة. نجاحاتٌ كثيرة عرفها موناكو خلال هذه الفترة، كان أبرزها التتويج بلقب الدوري الفرنسي موسم (2016 ـ 2017)، إضافةً إلى الوصول إلى نصف نهائي دوري أبطال أوروبا في الموسم ذاته. رغم تميّز النادي آنذاك، رفضت الإدارة التعويل على نجاح الموسم التاريخي، وتخلّت عن أغلب عناصر الفريق في الموسم اللاحق. هكذا، انتقل كلٌ من الجناح البرتغالي بيرناردو سيلفا (50 مليون يورو) والظهير الأيسر الفرنسي بينجامين ميندي (57 مليون يورو) إلى مانشستر سيتي، في حين وقّع متوسط الميدان الفرنسي تيموي باكايوكو مع نادي تشيلسي مقابل 40 مليون يورو. استمرت سياسة التخلّي عن النجوم بعدها لينتقل الجناح الفرنسي توماس ليمار (50 مليون يورو) إلى أتليتيكو مدريد، إضافةً إلى متوسط الميدان البرازيلي فابينيو إلى ليفربول مقابل 45 مليون يورو، ليختتم الأمر بكيليان مبابي، الموهبة الشابة الأعظم في العالم حالياً. رغم كون باريس سان جيرمان المنافس الأول لموناكو، لم يتردّد نادي الإمارة بالتخلّي عن مهاجمه الشاب كيليان مبابي بعدما تلقت خزائنه مبلغ 220 مليون يورو.

في الموسم الماضي، احتلّ موناكو المركز السابع عشر في الدوري الفرنسي، وهو يحتلّ المركز السابع هذا الموسم حتى الجولة 24. حاولت الإدارة إعادة الفريق إلى الواجهة من جديد عبر تغيير المدربين ومحاولة استقدام بعض لاعبي الخبرة مثل سيسك فابريغاس، غير أن الأمر لم ينجح. خشيت إدارة أياكس أن يمرّ النادي بما مر به موناكو، فاتّبعت سياسة تقضي بتأمين التعويض الملائم قبل التخلّي عن أيّ لاعب، ما حال دون السقوط هذا الموسم. لم يتأثر أياكس بفقدان لاعبيه على الصعيد المحلي، حيث يحتل صدارة الدوري هذا الموسم حتى الجولة 21 بـ50 نقطة، غير أنّ النادي تأثر أوروبياً بعد أن خرج من دور مجموعات دوري الأبطال محتلاً المركز الثالث.

يبدو أياكس في طريقه لإحكام قبضته على الألقاب المحلية للموسم الثاني على التوالي. النادي مرشح فوق العادة للتتويج بلقب الدوري، كما أنه مرشح لتجاوز عقبة خيتافي الإسباني في دور الـ32 من الدوري الأوروبي، مع اعتماد الفريق على المواهب التي يخرجها كل عام من أكاديمية النادي، يسير أياكس في الطريق الصحيح بانتظار تداعيات سياسة التخلي عن نجوم الفريق في السنوات المقبلة.

دي يونغ

أسهم فرنكي دي يونغ في وصول أياكس إلى نهائي الدوري الأوروبي عام 2017، وتمكن بفعل أدائه اللافت من الحصول على جائزة أفضل موهبة في ذلك الموسم. استمرّ أداء اللاعب في التطور الموسم الماضي، ما لفت نظر الأندية الأوروبية الكبيرة. خاض دي يونغ 65 مباراة مع فريق أياكس، سجل خلالها 6 أهداف وأعطى 10 تمريرات حاسمة. الأداء اللافت للاعب أشعل الصراع بين نادي باريس سان جيرمان وبرشلونة لاستقطابه، ليتمكن الأخير في نهاية الأمر من حسم الصفقة لمصلحته، بعدما دفعت إدارة برشلونة ما قيمته 86 مليون يورو مع المتغيرات. هكذا، أصبح دي يونغ أغلى لاعب هولندي في التاريخ، متجاوزاً المدافع فيرجيل فان ديك الذي انتقل إلى ليفربول مقابل 84,4 مليون يورو من سواوثامبتون.

دي ليخت

لعب المدافع الهولندي ماتياس دي ليخت دوراً بارزاً في تتويج نادي أياكس أمستردام بلقبي الدوري والكأس للموسم المنصرم، وبلوغ الفريق نصف نهائي دوري أبطال أوروبا. أرقام لافتة حققها ابن الـ20 عاماً مع أياكس، حيث خاض 117 مباراة في مختلف المسابقات، سجّل خلالها 13 هدفاً بينها ثلاثة أهداف على الصعيد الأوروبي، أهمها هدف الفوز على يوفنتوس، الذي أسهم في إقصاء النادي الإيطالي من الدور ربع النهائي لدوري الأبطال الموسم الماضي. بعد تقديمه أداءً لافتاً في مختلف المسابقات، ارتبط اسم دي ليخت بالعديد من الأندية الأوروبية، ولا سيما نادي برشلونة الإسباني، غير أن الاهتمام المضاعف من نادي يوفنتوس تحديداً جعله ينتقل إلى إيطاليا قبل بداية الموسم. وبحسب الموقع الرسمي لنادي «السيدة العجوز»، فقد وصلت قيمة الصفقة إلى 75 مليون يورو يتم دفعها خلال خمس سنوات، وتكاليف إضافية قدرها 10,5 ملايين يورو

لاسي شوني

انضم لاعب الوسط الدنماركي لاسي شوني إلى جنوى الإيطالي بعقد يمتد لعامين مع إمكانية التجديد لعام ثالث. وكان شوني (33 عاماً) ضمن العناصر التي أسهمت في تحقيق فريق العاصمة الهولندية لثنائية الدوري والكأس في الموسم الماضي، إضافةً إلى بلوغ نصف نهائي دوري أبطال أوروبا. هذا وبلغت الصفقة 1,50 مليون يورو فقط، نظراً إلى عمر اللاعب، إضافة إلى تبقّي عام واحد في عقده. قضى شوني سبعة أعوام مع أياكس، سجل خلالها 64 هدفاً، إضافةً إلى صناعته 52 تمريرة حاسمة خلال 286 مباراة.

حكيم زياش

أعلن نادي أياكس أمستردام الهولندي، مساء الخميس، توصّله إلى اتفاق مع تشيلسي الإنكليزي يقضي بانتقال المغربي حكيم زياش إلى صفوف البلوز، مع نهاية الموسم الجاري. وصرّح النادي الهولندي في بيان رسمي نشره عبر موقعه الإلكتروني: «توصل أياكس وتشيلسي إلى اتفاق يقضي بانتقال حكيم زياش إلى النادي الإنكليزي بداية من 1 يوليو/تموز 2020، حيث سيستمر اللاعب مع الفريق حتى نهاية الموسم الحالي». وأضاف: «تبلغ قيمة الصفقة 40 مليون يورو، ومن الممكن أن ترتفع إلى 44 مليون يورو، نظراً إلى المتغيرات والحوافز الإضافية». وكان زياش البالغ من العمر 26 عاماً قد انضم إلى أياكس قادماً من تفينتي الهولندي في عام 2016 مقابل 11 مليون يورو، علماً بأنه بدأ مسيرته مع الفريق الأول لنادي هيرينفين في الفترة الممتدة بين عامي 2012 و2014.

كاسبر دولبيرغ

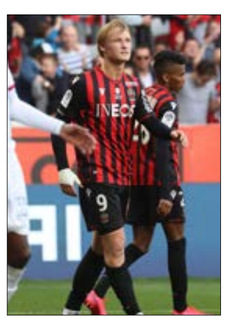

لم يشارك دولبيرغ كثيراً في مباريات أياكس الموسم الماضي، خاصةً بعد التعاقد مع تاديتش من ساوثامبتون الذي شارك بشكل أساسي في تشكيلة المدرب إيريك تن هاغ. رغم ذلك، انتقل مهاجم نادي أياكس الهولندي والدولي الدنماركي كاسبر دولبيرغ إلى نادي نيس الفرنسي، في صفقةٍ بلغت 20,50 مليون يورو. تعتبر الفترة الأبرز لدولبيرغ في موسم 2016-2017 عندما قاد الفريق إلى نهائي بطولة الدوري الأوروبي. لعب كاسبرغ 120 مباراة برفقة أياكس في مختلف البطولات، سجل خلالها 45 هدفاً إضافةً إلى صناعته 17 أخرى.

كالشيو

يوفنتوس ينتظر هدية من معركة إنتر ولاتسيو

تعادل يوفنتوس في الكاس في ميلان (أ ف ب)

يعود يوفنتوس إلى قواعده في تورينو بعد رحلات متواضعة خارج ملعبه، فيستضيف بريشيا وصيف القاع يوم غد الأحد (16:00 بتوقيت بيروت) في المرحلة 24 من الدوري الإيطالي لكرة القدم، التي تشهد مواجهة نارية بين شريكه في الصدارة إنتر ولاتسيو الثالث في العاصمة، (غدا 21:45 بتوقيت بيروت)

وتقدّم إنتر على حامل اللقب في المواسم الثمانية الماضية، بفارق الأهداف في الجولة الأخيرة، وذلك بعد السقوط المفاجئ ليوفنتوس على أرض فيرونا (2-1).

ويعوّل المدرب ماورويتسيو ساري على لاعبيه لوقف نزيف النقاط، إذ خسر فريق «السيدة العجوز» مرتين في آخر ثلاث مواجهات على أرض نابولي وفيرونا. ولم تكن مواجهة يوفنتوس الخميس على أرض ميلان في ذهاب نصف نهائي الكاس أفضل بكثير، إذ احتاج لركلة جزاء في الدقيقة الأخيرة ترجمها نجمه البرتغالي كريستيانو رونالدو ليخرج بالتعادل (1-1) من ملعب سان سيرو. وقال مدافعه المخضرم ليوناردو بونوتشي «يتعيّن علينا تغيير إيقاعنا. نحن بحاجة إلى المزيد من الجميع».

بدوره، قال فابيو باتريتشي مدير النادي الذي يستعدّ لمواجهة ليون الفرنسي في ذهاب ثمن نهائي دوري أبطال أوروبا الشهر الجاري: «هناك وحدة مطلقة مع المدرب. لدينا أفكار واضحة مع ساري، تتخطى النجاح أو الفشل في مباراة واحدة».

وتابع «في عشر سنوات نجح يوفنتوس دوماً في التغيير واستمرّ بالنجاح والتنافس. الأمر مماثل هذه السنة، نحن على مستوى التوقعات».

ولم يخسر يوفنتوس أبداً على أرضه ضدّ بريشيا، ولم يحقّق الأخير سوى أربعة انتصارات هذا الموسم، أخرها في منتصف كانون الأول/ ديسمبر الماضي.

بدوره، رأى ساري القادم إلى يوفنتوس في صيف 2019 بعد رحلة قصيرة مع تشلسي الإنكليزي أنّ «من الطبيعي أن يكون عملي تحت المجهر. نحن في شباط/ فبراير ونقاتل على كل الجبهات، وهذا يتوافق مع الأهداف المرسومة». وبعد التعادل ضدّ ميلان، قال لقناة «راي سبورت»: «لست قلقاً، فالقلق الوحيد في الحياة هو صحتك. تبدو مرحلة طبيعية نمرّ فيها، من غير الوارد أن يستمر الفريق في الصعود. هذه رياضة، لذا أمور كثيرة تعتمد على الظروف البدنية والنفسية للكثير من اللاعبين. توقف نمونا في آخر ثلاثة أسابيع، نتلقى أهدافاً يمكن تفاديها».

ويأمل رونالدو، أفضل لاعب في العالم خمس مرات، في معادلة رقم الأرجنتيني غابريال باتيستوتا وفابيو كواليارلا، بالتسجيل للمباراة الحادية عشرة توالياً في الدوري. وسجل رونالدو (35 عاماً) 24 هدفاً في مختلف المسابقات لـ«بيانكونيري» هذا الموسم، بينها 15 في آخر عشر مباريات في الدوري.

ويبدو الصراع ثلاثياً على اللقب، إذ يبتعد لاتسيو بفارق نقطة عن إنتر ويوفنتوس، وهو لم يخسر في آخر 18 مباراة. ويعود سقوطه الأخير إلى أيلول/ سبتمبر أمام إنتر تحديداً (صفر-1) الذي يلتقيه مساء الأحد.

وأظهرت تشكيلة إنتر بعض ملامح التعب، عندما خسرت على أرضها أمام نابولي (صفر-1) الأربعاء في ذهاب نصف نهائي الكاس، وذلك بعد عودة رائعة في الدوري عندما قلبت تأخرها بهدفين أمام ميلان إلى فوز كبير (4-2) في الشوط الثاني. لكن إنتر لم يخسر سوى مرة وحيدة أمام لاتسيو في آخر سبع مواجهات في الدوري، فيما سجل مهاجمه البلجيكي المتألق روميلو لوكاكو 12 هدفاً خارج ملعبه هذا الموسم.

في المقابل، يملك لاتسيو المهاجم تشيرو اموبيلي، أحد أبرز هدّافي القارة هذا الموسم الذي سجل 25 هدفاً هذا الموسم بينها 15 على ملعبه.

وفي الصراع على المركز الرابع يبتعد أتالانتا بفارق 3 نقاط عن مطارده روما، قبل مواجهتهما المرتقبة اليوم في برغامو (21:45 بتوقيت بيروت). وخسر روما آخر مباراتين خارج أرضه، ويمرّ في فترة سيئة في الدوري، إذ حقق فوزاً واحداً في آخر ست مباريات.

وبعد فوزه اللافت على إنتر في الكاس، يبحث نابولي عن جمع النقاط لإنقاذ موسمه السيئ، عندما يحلّ صاحب المركز الحادي عشر ضيفاً على كالياري الثامن (الأحد الساعة 19:00) والذي لم يفز في آخر تسع مباريات.

وبعد نجاحه ضد يوفنتوس، يسافر فيرونا المنتشي بمركزه السادس ليواجه اودينيزي الخامس عشر (الأحد 13:30)، فيما يحلّ تورينو الثالث عشر والجريح بأربع خسارات متتالية ضيفاً على ميلان العاشر الاثنين في ختام المرحلة.

استراحة

كلمات متقاطعة 3380

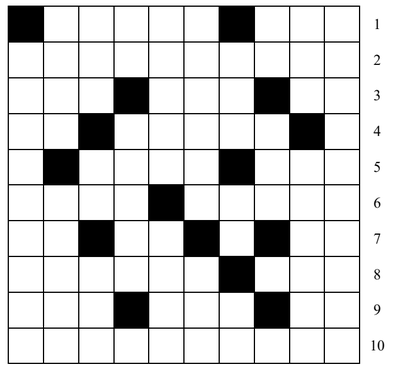

أفقيا

1-جذب الدابة باللجام – خلاف المُرّ – 2- لقب لضابط استخبارات بريطاني إشتهر بدوره في مساعدة القوات العربية ضد الأمبراطورية العثمانية – 3- من الطيور – سجّن – سكان الصحاري – 4- من الحشرات – متشابهان – 5- بنسط قدميه – ممثلة مصرية معتزلة – 6- بحر يتفرّع من المتوسط – ابكم – 7- ضد خير – إسم بوذا في الصين – للندبة – 8- ماركة غالات عالمية – نسبة الى مواطن من بلد أميركي – 9- إسم لكل عمل مبدع – قرقر الحمام وكرّر صوته في حنجرته – حجّ – 10- ملعب كرة مضرب شهير في باريس

عمودياً

1-عارضة زياء عالمية وممثلة المانية مشهورة – 2- من الفاكهة – مدينة إيطالية شهيرة بمياهها المعدنية – 3- خلاف برد – خصم لدود – 4- ضمير منفصل – وشى وثرثر على الناس – ضمير متصل – 5- نسبة الى مواطن من بلد أوروبي – جسد الإنسان – 6- كهف في فرنسا يُعتبر أقدم كهف حضاري في العالم – خال وخاو – 7- فك العقدة – عائلة عشيقة وزوجة المستشار الألماني أدولف هتلر – 8- عزف على الآلة الموسيقية – شقيق – راتب ومعاش الموظف – 9- من الألوان – عاشق تاريخي – 10- عاصمة الأرجنتين

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1-المختار – ما – 2- وجل – بنتاعل – 3- لاحت – النسب – 4- أمم – بن – بكل – 5- زفت – فورد – 6- بنيّ – خردل – 7- أحنط – سكينة – 8- تم – ردم – نو – 9- ويغان – رق – 10- راشد الماجد

عمودياً

1-اولان باتور – 2- لجام – نحميا – 3- ملحم زين – غش – 4- طرّاد – 5- تبّ – يتخ – دنا – 6- أنان – رسم – 7- رتل – فدك – بم – 8- ان بولين – 9- معسكر – نورج – 10- البلدية – قد

sudoku 3380

2				9		8		
	1		2			4		
	7		6	3		5		
6			7	4				2
3	4						8	6
5				6	8			4
		6		7	3		9	
		8			4		1	
		2		5				3

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3379

4	5	7	2	8	6	9	3	1
3	1	9	4	5	7	8	2	6
2	6	8	9	1	3	7	5	4
9	8	4	5	3	1	2	6	7
1	7	6	8	2	9	5	4	3
5	3	2	6	7	4	1	8	9
7	2	3	1	6	8	4	9	5
6	9	5	7	4	2	3	1	8
8	4	1	3	9	5	6	7	2

مشاهير 3379

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعر أموي سكن دمشق. عاصر جرير وهجاه في عدة مناسبات. مدح الوليد بن عبد الملك ولقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام

6+7+9+8+3+4 = خلاف البعيد ■ 1+2+5 = مدينة يمنية ■ 11+10+8 = أمر معيب

حل الشبكة الماضية: **هوارد غاردنر**

إعداد
نعوم مسعود

المصالحة والتنسيق بين الحزب «الشيوعي» وحزب «الكتائب»

أسعد أبو خليل *

فتحَ اللقاء بين «الحزب الشيوعي اللبناني» و«حزب الكتائب» نقاشاً على مواقع التواصل الاجتماعي بشأن العلاقة بين اليسار و«الكتائب» التي كانت قد توثّرت ووصلت إلى القطيعة قبل الحرب اللبنانية. كمال جنبلاط، مثلاً، رفض قبول دعوة من حزب «الكتائب» لحضور مؤتمره السنوي، في خريف 1974، بسبب تسلّح الحزب وافتعال ميليشياه اشتباكات مع المقاومة الفلسطينية، بالإضافة إلى حملات شبه يومية من إعلام «الكتائب» وقياداته ضد اليسار العربي والعالمي (لسبب ما، تعرّض تاريخ حزب «الكتائب» في مخابرة اليسار إلى النسيان، فاصبح سجّله مرتبطاً فقط بما يريده أن يبقى في الأذهان، أي ما يسمّيه بـ«مقاومته» ضد التوطين الفلسطيني، وهذا يشمل طبعاً قتل مسلمين على الهوية ومسيحيّين معارضين ومجازر ضد المخيّمات الفلسطينية). وحده عاصم قانصوه، ممثلاً منظّمة حزب «البعث» في لبنان، حضر مؤتمر «الكتائب» في ذلك العام، الذي حفل بأخبار رسمية عن وصول شحنات أسلحة إلى «الكتائب» و«الأحرار» إلى مرفأ جونية. وبقيت العلاقة بين اليسار (ليس فقط «الشيوعيّين»، بل «الناصريّين» و«البعثيّين» وغيرهم) متوتّرة، حتى مجزرة عين الرمّانة في عام 1975، حين خرجت الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية بشعار «عزل الكتائب». الشعار والفكرة كانا لكمال جنبلاط ومحسن إبراهيم وجورج حاوي (والثلاثي هو الذي قاد الحركة الوطنية حتى اغتيال كمال جنبلاط). بدأ العزل من عدم، أو بناءً على مزاج الثلاثة. كان نوعاً من المساومة في نيسان بين مطالبة الجماهير الغاضبة بشنّ حرب دفاعية ضد ميليشيا «الكتائب» و«الأحرار»، وبين الموقف المساوم والمهادن للثلاثي جنبلاط ـ حاوي ـ إبراهيم. ويعترف جورج حاوي بأنه هو شخصياً الذي كان وراء رفع شعار «عزل الكتائب» (في كتاب «جورج حاوي يتذكّر»، ص. 85). لم تكن مجزرة عين الرمّانة، الإطلاق الرسمي الأوّل لوجود ميليشيا بمهمة متطرّفة تعدّ العدّة لإشعال الحرب. لم تتوقف محاولات حزب «الكتائب» إشعال الحرب (بالتوافق مع مخابرات الجيش يومها) منذ عام 1969، عندما بدأت الاستفزازات «الكتائبية» ضد المقاومة الفلسطينية. وكان حزب «الكتائب» يقيم الحواجز في المدن اللبنانية بحجّة السيادة، فيما كان يقيم الدنيا ويقعدها إذا ما أقيم حاجز في مخيّم فلسطيني في زمن كانت المخابرات الإسرائيلية تجول وتوسوح في أنحاء لبنان، وبتسهيل أكيد من أجهزة الدولة و«الكتائب». ولم يكن ياسر عرفات والنظام السوري، موافقَيْن على شعار «عزل الكتائب»، لأنهما حاججا أنّ هذا الأمر سيفيد في شدّ حزب «الكتائب» للعصب الطائفي في الوسط المسيحي. لكنّ العزل لم يكن مُلتزَماً به: فكمال جنبلاط كان يتواصل سرّاً وعلناً مع «الكتائب» (وكان هناك لقاء علني مع بشير الجميّل بعد اغتيال ليندا جنبلاط، في عام 1976، أي بعد سنة واحدة من إعلان العزل). وكان سمير فرنجية يقوم بدور صلة الوصل بين بشير الجميّل والثلاثي جنبلاط ـ إبراهيم ـ حاوي. أي أنّ شعار العزل لم تلتزم به الأطراف التي رفعته، كما أنّ الأحزاب الموالية للنظام السوري (والتي انضوت بعد طردها من بيروت الغربية، في عام 1976، في ما سُمي يوماً بـ«الجبهة اللوبية»، أي بديل النظام السوري للحركة الوطنية، وضمّت حركة «أمل» و«اتحاد قوى الشعب العامل») كانت معارضة حكماً للعزل. وياسر عرفات لم يكن مقتنعاً بعزل «الكتائب» (بالرغم من إعلان المقاومة الالتزام بالعزل)، وأقام علاقات تواصل لم تنقطع مع ميليشيات اليمين (عبر أبو حسن في البداية، ثم عبر حسيب الصباغ ووليد الخالدي وباسل عقل)، وآخر تلك اللقاءات إلى العلن في عام 1978 (أذكر أنني علّقتُ على باب مكتب وليد الخالدي في الجامعة الأميركية في بيروت غلاف مجلّة «الثوري» يومها، وحمل شعار «لا للقاء مع الفاشيّين»).

كانت مجزرة عين الرمّانة الشرارة التي أشعلت الحرب، وكان ذلك مُراداً لها بعدما فشلت محاولة شنّ الحرب الأهلية الشاملة، في ربيع 1973، عندما فوجئ الجيش اللبناني، وراعته في أميركا وفلسطين المحتلّة، بقوّة تصدّي المقاومة. عندها، بروايات ووثائق متعدّدة، تحوّل الاهتمام والتسليح الغربي الصهيوني من الجيش اللبناني إلى ميليشيات اليمين الانعزالي. تخريجة جورج حاوي بإعلان «عزل الكتائب» (من دون إقران ذلك بالجدية في الالتزام المُعلن)، كانت لتلافي ما كانت الجماهير تطالب به آنذاك، أي مواجهة الاستفزازات العسكرية الكتائبية، المستمرّة منذ عام 1969، والتحضّر للحرب التي تعدّها «الكتائب» بالنيابة عن إسرائيل وأميركا. كانت التخريجة ضعيفة، وكان يمكن أن تطالب الحركة الوطنية بموقف أكثر قطعاً، عبر الدعوة إلى حلّ الحزب وحظره. كان يجب أن يكون هذا هو الموقف في عام 1984، عندما تمّت هزيمة «الكتائب» بصورة حاسمة للمرّة الأولى في تاريخ لبنان، لكنّ الحركة الوطنية كانت قد ماتت، بعدما أعلن اللقاء» وليد جنبلاط نفسه، بعد أيّام فقط على لقائه الشهير مع شمعون بيريز (كان اللقاء بحسب جنبلاط للتباحث في شؤون «الاشتراكية الدولية»، و«الاشتراكية» حرص تقليدي من وليد جنبلاط وبوشاطره في الحرص نعمة طعمه، مستشاره لشؤون تمويل الحملات الانتخابية وتحضير الطائرات الخاصة لسفر الزعيم).

كان يمكن إعلان حظر «الكتائب» بعد الطائف، لأنه بات معلوماً آنذاك أن هذا الحزب كان المسؤول الأوّل (هو ورعاته في تل أبيب وواشنطن وبعض عواصم الغرب) عن إشعال وإدامة أمد الحرب الأهلية. لماذا لا نتعلّم من تجربة ألمانيا، وليس من تجربة حزب «البعث» في العراق، بعد عام 2003، لأنّ كلّ ما سنّه المحتلّ الأميركي من قوانين وإجراءات باطلٌ، ولا يعتبر إلّا عن إرادة المحتلّ وادواته في مجلس بريمر، وما خلف مجلس بريمر. في ألمانيا، سنّت الحكومات المتعاقبة بعد الحرب العالمية الثانية، قوانين صارمة ضد العقيدة النازية (التي تخريجة جورج حاوي بإعلان «عزل الكتائب» (من دون إقران ذلك بالجدية في الالتزام المُعلن)، كانت لتلافي ما كانت الجماهير تطالب به آنذاك، أي مواجهة الاستفزازات العسكرية الكتائبية، المستمرّة منذ عام 1969، والتحضّر للحرب التي تعدّها «الكتائب» بالنيابة عن إسرائيل وأميركا. كانت التخريجة ضعيفة، وكان يمكن أن تطالب الحركة الوطنية بموقف أكثر قطعاً، عبر الدعوة إلى حلّ الحزب وحظره. كان يجب أن يكون هذا هو الموقف في عام 1984، عندما تمّت هزيمة «الكتائب» بصورة حاسمة للمرّة الأولى في تاريخ لبنان، لكنّ الحركة الوطنية كانت قد ماتت، بعدما أعلن اللقاء» وليد جنبلاط نفسه، بعد أيّام فقط على لقائه الشهير مع شمعون بيريز (كان اللقاء بحسب جنبلاط للتباحث في شؤون «الاشتراكية الدولية»، و«الاشتراكية» حرص تقليدي من وليد جنبلاط وبوشاطره في الحرص نعمة طعمه، مستشاره لشؤون تمويل الحملات الانتخابية وتحضير الطائرات الخاصة لسفر الزعيم).

كان يمكن إعلان حظر «الكتائب» بعد الطائف، لأنه بات معلوماً آنذاك أن هذا الحزب كان المسؤول الأوّل (هو ورعاته في تل أبيب وواشنطن وبعض عواصم الغرب) عن إشعال وإدامة أمد الحرب الأهلية. لماذا لا نتعلّم من تجربة ألمانيا، وليس من تجربة حزب «البعث» في العراق، بعد عام 2003، لأنّ كلّ ما سنّه المحتلّ الأميركي من قوانين وإجراءات باطلٌ، ولا يعتبر إلّا عن إرادة المحتلّ وادواته في مجلس بريمر، وما خلف مجلس بريمر. في ألمانيا، سنّت الحكومات المتعاقبة بعد الحرب العالمية الثانية، قوانين صارمة ضد العقيدة النازية (التي تخريجة جورج حاوي بإعلان «عزل الكتائب» (من دون إقران ذلك بالجدية في الالتزام المُعلن)، كانت لتلافي ما كانت الجماهير تطالب به آنذاك، أي مواجهة الاستفزازات العسكرية الكتائبية، المستمرّة منذ عام 1969، والتحضّر للحرب التي تعدّها «الكتائب» بالنيابة عن إسرائيل وأميركا. كانت التخريجة ضعيفة، وكان يمكن أن تطالب الحركة الوطنية بموقف أكثر قطعاً، عبر الدعوة إلى حلّ الحزب وحظره. كان يجب أن يكون هذا هو الموقف في عام 1984، عندما تمّت هزيمة «الكتائب» بصورة حاسمة للمرّة الأولى في تاريخ لبنان، لكنّ الحركة الوطنية كانت قد ماتت، بعدما أعلن اللقاء» وليد جنبلاط نفسه، بعد أيّام فقط على لقائه الشهير مع شمعون بيريز (كان اللقاء بحسب جنبلاط للتباحث في شؤون «الاشتراكية الدولية»، و«الاشتراكية» حرص تقليدي من وليد جنبلاط وبوشاطره في الحرص نعمة طعمه، مستشاره لشؤون تمويل الحملات الانتخابية وتحضير الطائرات الخاصة لسفر الزعيم).

كان يمكن إعلان حظر «الكتائب» بعد الطائف، لأنه بات معلوماً آنذاك أن هذا الحزب كان المسؤول الأوّل (هو ورعاته في تل أبيب وواشنطن وبعض عواصم الغرب) عن إشعال وإدامة أمد الحرب الأهلية. لماذا لا نتعلّم من تجربة ألمانيا، وليس من تجربة حزب «البعث» في العراق، بعد عام 2003، لأنّ كلّ ما سنّه المحتلّ الأميركي من قوانين وإجراءات باطلٌ، ولا يعتبر إلّا عن إرادة المحتلّ وادواته في مجلس بريمر، وما خلف مجلس بريمر. في ألمانيا، سنّت الحكومات المتعاقبة بعد الحرب العالمية الثانية، قوانين صارمة ضد العقيدة النازية (التي

التمثيل بـ5%، وذلك لاستبعاد الأحزاب المتطرّفة. مع ذلك، يجب عدم الذهاب بعيداً في التمثّل بالنموذج الألماني، لأنه لا يُطبّق بصرامة في حالات أيديولوجيات العداء ضد الإسلام، كما يُطبق في أيديولوجيات العداء ضد اليهود. والحزب الجديد، «البديل لألمانيا»، هو محاولة التفافية على قوانين حظر الأحزاب العنصرية المتطرّفة. تنطبق على حزب «الكتائب» كل هذه الصفات التي أدّت إلى حظر الحزب النازي في ألمانيا. لا، حزب الكتائب، قانوناً ودستوراً، زاد على شناعة الحزب النازي في ألمانيا شناعة لم يرتكبها الحزب الألماني: هو خان الوطن وعمل لمصلحة عدوّ خارجي، وتسلّح منه وعمل مُخبراً له ومنفّذاً لإرهابه.

لكن ماذا عن الحجج والذرائع التي ساقها «شيوعيّون» عن اللقاء بين الحزب «الشيوعي اللبناني» وبين حزب «الكتائب» (لماذا نشر موقع الحزب «الشيوعي» خبر اللقاء، مصحوباً بصورتيْن عنه، لكن صفحتَي حزب «الكتائب» على موقعي «فايسبوك» و«تويتر» لم تُشيرا إلى اللقاء بكلمة؟ هل «الكتائب» يخجل باللقاء، فيما يزهو به الحزب «الشيوعي»؟). يقال، مثلاً، إن الحرب وراءنا وإنه يتوجّب تجاوز تلك المرحلة. لكن موجبات التعامل مع الحرب ومخلّفاتها تختلف بين فرد ليبرالي مثلاً أو يميني، (لا فارق بين الصفتيْن في بلادنا) وبين «الشيوعي». معايير «الشيوعية» في التحالف والعداء، يجب أن تكون غير ما هي عليه لغير «الشيوعي».

يبدر عن الجيل الجديد من «الشيوعيّين» اللبنانيّين (الواقعين تحت تأثير بروباغندا هائلة لـ14 آذار . وهي بروباغندا ناجحة، حدّة في العداء ضد «حزب الله» تفوق الحدّة في العداء ضد اليمين الانعزالي الذي عمل لسنوات طويلة بأمرة العدو الإسرائيلي. وعداء جيل جديد من «الشيوعيّين» لـ«حزب الله» غير مفهوم. إذا كانت عقيدة الحزب الدينية هي المشكلة، فإنّ حزب «الكتائب» يرفع الله في شعاره أيضاً، وكلّ قوى اليمين الانعزالي استغلّت الدين لأهداف التعبئة والتحريض وحتى القتل. وكانت الكنيسة (خلافاً لإرادة البطريرك خريش) تساهم في دعم الميليشيات، إلا أنّ الرهبانيّات المارونية كانت شريكة ميليشياوية، واستخدمت الأديرة لتخزين السلاح قبل الحرب. إذا كانت يمينية «حزب الله» هي العائق أمام تقارب الجيل الجديد من «الشيوعيّين» مع الحزب، فإنّ عقيدة حزب «الكتائب» هي الأشدّ يمينية في التمسّك بالرأسمالية، وما كان يسمّيه بيار الجميّل المؤسّس، بـ«المبادرة الفردية». أما مسألة قتل «الشيوعيّين»، فباتت لازمة في خطاب جيل جديد منهم، كما هي لازمة في إعلام النظام السعودي والقطري وكل الدعاية الصهيونية العربية ضد «حزب الله»، كحركة مقاومة ضد إسرائيل. 1) ليس محسوماً أن «حزب الله» هو المسؤول عن قتل «الشيوعيّين» في تلك السنوات الحالكة (وقد قمتُ بدوري في محاولة التحقيق في الأمر وسألتُ قيادات عليا في الحزب). وكان رئيس تحرير هذه الجريدة (وهو كان قريباً جداً من قيادة الحزب «الشيوعي») قد صرّح في مقابلة تلفزيونية بان حركة «أمل» هي المسؤولة عن قتل «الشيوعيّين» لا «حزب الله»، خصوصاً أن اشتباكات عنيفة نشبت بين «أمل» والحزب «الشيوعي» قبل عام 1982 وبعده. لم تنشب معارك بين الحزب و«الشيوعي»، كما نشبت بينه وبينه «أمل». لكن إذا كان اغتيال مجموعة من (خيرة) «الشيوعيّين» هو السبب الذي يفسّر عداء جيل جديد منهم لـ«حزب الله» (مع أنه ليس هناك من دليل على ضلوعه)، فلماذا هذا الجيل نفسه يكنّ الودّ لياسر عرفات، المسؤول في صيف 1983 عن مقتل أكثر من خمسين «شيوعيّاً» في طرابلس، على يد حركة «التوحيد» (وهي دكّانة عرفاتية)، ورمي جثثهم في البحر لتجنيب الأرض التلوّث بهم، بحسب زعمهم؟ (يُذكر أنّ قائد «جمّول» في تلك الفترة، إلياس عطالله، كان يحارب إلى جانب الجيش السوري). لماذا لا يتمّ ذكر هؤلاء الضحايا «الشيوعيّين» من قبل الذين يذكّرون باغتيال «حزب الله» لـ«شيوعيّين» صبحاً ومساءً؟ والأكيد أن اغتيال الحريري أطلق العنان لدعاية خليجية ـ غربية ـ صهيونية ضد «حزب الله» (كمقاومة ضد إسرائيل)، وعندها فقط بدأ نسج الحكايات عن مسؤولية «حزب الله» عن اغتيال «شيوعيّين»، كما أن أجهزة الدعاية تلك بدأت بنسج الأساطير عن «جمّول»، وليس من أجل الاعتراف بالجميل لدورها الرائد، بل فقط من أجل النيل من القسط الأكبر لـ«حزب الله» في تحرير الجنوب من العدوّ، وفي ردع العدوّ كما لم يُردع في تاريخه. وصدّق «الشيوعيّون» الشباب تلك الحكايات، بينما أصبحت أسطورة «جمّول» من حيث المبالغة فيها، مهينة للتضحيات الحقيقية لمناضلي «جمّول»، الأحياء منهم والأموات. لم يكن شهداء «جمّول» يريدون أن يتم استعمال تضحياتهم من أجل خدمة دعاية سياسية معادية للمقاومة. لا، بل إن هناك من صدّق القصة، عن أن «حزب الله» منع أيّاً كان من غير الشيعة من الاقتراب من فعل المقاومة، وإنه، لولا منعه، لكان الحزب «الشيوعي» لا يزال يقود المقاومة اليوم. طبعاً، الحقيقة أن الطابع السياسي لأهل الجنوب تغيّر كثيراً وانهارت منظومات الحركة الوطنية برمّتها، وهذا الانهيار الفظيع من معالم الهزيمة الكبرى في اجتياح عام 1982، عندما

(مروان بوحيدر)

> كان يمكن إعلان حظر «الكتائب» بعد الطائف لأنّه بات معلوماً أن هذا الحزب كان المسؤول الأوّل عن إشعال وإدامة أمد الحرب الأهلية

كان يخرج معظم الأسرى «الشيوعيّين» من «أنصار» ليعودوا إلى منازلهم متقاعدين عن «الشيوعيّة»، أو مغادرين نحو «أمل» أو «حزب الله»، أو حتى إلى حركة رفيق الحريري، التي تضمّ اليوم قياديّاً من الحزب «الشيوعي» في قيادة «تيار المستقبل»، حتى لا نتحدّث عن هجرة كوادر عليا وقيادات من «منظمة العمل الشيوعي» باتجاه عائلة الحريري غير «الشيوعيّة».

يجهل البعض أن هناك دراسة داخلية للحزب «الشيوعي» عن التوزّع الطائفي لشهداء الحزب قبل عام 1980، أي قبل ولادة «حزب الله». تقول الدراسة إن نسبة الشيعة بين شهداء الحزب في كل لبنان بلغت 58%، فيما لم تزد نسبة السنّة بين الشهداء عن أكثر من 7,5 %. كيف نفسّر هذه الأرجحية الشيعية في الأرقام؟ هل منع الحزب «الشيوعي»، في حينه، غير الشيعة من المساهمة في المقاومة، من أجل تطييف ومذهبة النضال ضد إسرائيل، كما يُقال اليوم عن «حزب الله»؟ (راجع العدد الخاص لجريدة «النداء» في الذكرى الرابعة لانطلاقة «جبهة المقاومة» في 21 أيلول، 1986). وفي هذا العدد، يُلفت عدد الكتّاب في جريدة الحزب «الشيوعي» من الذين انتقلوا برشاقة من الإعلام «الشيوعي» إلى الإعلام الحريري والخليجي، وفي سنوات قليلة). وقد تجاهلت سردية 14 آذار الخبيثة عن «جمّول»، بالكامل، دور أحزاب أخرى، غير الحزب «الشيوعي»، في مقاومة إسرائيل في حينه. عدد «النداء» الخاص (المذكور أعلاه) مثلاً، يتحدّث عن عمليات لمنظمة حزب «البعث» و«للحزب القومي». كل هذه السردية تغيّب الدور الكبير للحزب «القومي»، لأنّ تعظيم دور «جمّول» لا علاقة له بـ«جمّول» من قبل اليمين، بل هو دعاية خبيثة ضد المقاومة الحالية ضد إسرائيل، والتذكير بدور أحزاب موالية للنظام السوري في المقاومة لا يستقيم مع سردية 14 آذار. أذكر عندما وصلتُ إلى أميركا، في عام 1983، أنّ كل الإعلام الصهيوني هنا في الثمانينيّات كان مشغولاً بالتحذير من دور الحزب «السوري القومي الاجتماعي» في قتال إسرائيل في جنوب لبنان، ولم يكن يرد في إعلام العدوّ أي حديث عن «الشيوعيّين» (بالرغم من تضحياتهم طبعاً). راجع مقالة الصحافي الإسرائيلي، إيهود يعاري، في مجلّة «أتلانتك» في حزيران 1987 بعنوان «وراء الإرهاب»، وفيها حديث عن الدور المتعاظم للحزب «القومي» في قتال وإزعاج جيش الاحتلال الإسرائيلي).

ثم، إذا كان اغتيال عدد من «الشيوعيّين» هو السبب للعداء الذي يكنّه الشباب «الشيوعي» لـ«حزب الله»، فكيف ينسى ويغفر هؤلاء لحزب «الكتائب» قتله بالدم البارد، في ساحات القتال وعلى الهويّة وفي اصطياد مُستهدف، للآلاف من «الشيوعيّين» و«الشيوعيّات» في كل لبنان؟ ينسى البعض أن حزب «الكتائب» رسم صورة مغايرة لتاريخه في الحرب. أصبح الحزب لا يعترف إلا بـ«مقاومته» ضد توطين الفلسطينيين متناسياً أنه قتل الآلاف على الهوية (من المسلمين والفلسطينيين والمسيحيّين المنضوين في صفوف الحركة الوطنية). حزب «الكتائب» كان الحزب اليميني المُجاهر بعدائه الفظيع لليسار، وكان يتلقّى الدعم والسلاح الأميركي في الحرب الباردة، بسبب شدّة عدائه وحربه ضد «الشيوعيّة» و«الشيوعيّين». في كلّ تصريحات بيار الجميّل، قبل وأثناء الحرب، كان يعترف أنه يحمّل «اليسار المحلّي والعالمي» المسؤولية عن الحرب، أكثر ممّا يحمّل المقاومة الفلسطينية. وقد أعلن كمال جنبلاط مقاطعة حزب «الكتائب» في عام 1974، وطلب استثناءه من التمثيل السياسي بسبب حملات الحزب المكارثية ضد اليسار. حزب «الكتائب اللبنانية»، لم يعتذر أو يراجع مسيرته في الحرب. قد يكون هذا الحزب، مع كل أحزاب «الجبهة اللبنانية» و«القوّات اللبنانية»، أكثر الأحزاب اللبنانية عناداً في التمسّك بالأحقية الذاتية والزهو بمسلك الحزب وتجربته في الحرب. وإذا كان جورج حاوي ومحسن إبراهيم (الأخير خصوصاً)، قد أهانا شهداء الحركة الوطنية، في تلاوة لفعل الندامة وللاعتذار المتكرّر عن دور الحركة الوطنية، وفي ذم الحرب الأهلية، برمّتها، وهذه الحرب هي التي قادت لبنان للتخلّص من سيطرة الانعزال اللبناني على الدولة والدستور. هذه الحرب هي التي هزمت ميليشيات الانعزالية اللبنانية، وأقرّت مجموعة إصلاحات (غير جذرية) لكن معظمها كان وارداً في مشاريع الحركة الوطنية نفسها. لا يزال هذا الحزب متمسّكاً بدوره وزهوه في حروبه، لا بل هو يعتبر أن تحالفه مع العدوّ الإسرائيلي كان من باب الضرورة، مع علمه أنه كان خياراً ذيليّاً من قبل الحزب الذي اختار التعاون مع العدوّ في الخمسينيات من القرن الماضي (عبر قائده، إلياس ربابي، وهو عمل سفيراً لكنه أقصيَ من منصبه في عهد شارل حلو في حملة فريدة ضد الفساد، عُرفت بحملة «التطهير»). استسهل الحزب ذلك، عبر رواية جوزيف أبو خليل، وعبر روايات أخرى عن علاقة الحزب بإسرائيل، والتي لم تكن فقط من أجل ضرب المقاومة لأنها سبقت انطلاق المقاومة في لبنان. هذه العلاقة كانت استقواء من طرف داخلي ضد خصومه في الوطن وفي المجلس النيابي.

يقول «الشيوعيّون» المتقبّلون لفكرة التواصل، أو حتى التحالف، بين الحزب «الشيوعي» وحزب «الكتائب»: لماذا نحمّل القيادة الحالية المسؤولية عن جرائم الماضي. لسبب بسيط: لم تتنصّل القيادة الحالية من واحدة من جرائم وآثام الماضي. عامر الفاخوري كان ناشطاً في حزب «الكتائب» «الجديد»، على سبيل المثال. وسامي الجميّل كان يسعى إلى التقسيم في تنظيمه «لبناننا»، وكان مستشاره فيه مندوب لبناني في «مؤسّسة واشنطن» (الذراع الفكرية للوبي الإسرائيلي). حزب «الكتائب» الحالي لا يزال على طائفيّته وتقسيمه ورجعيّته ويمينيّته ومعاداته لمقاومة إسرائيل. حزب «الكتائب» الحالي يعادي المقاومة اللبنانية ضد إسرائيل، بالدرجة نفسها لمعاداة حزب «الكتائب» الماضي للمقاومة الفلسطينية. لم يعد الحزب انعزاليّاً في سياسته العربية، فقط لأن العروبة تغيّرت: من عروبة ناصرية تعادي إسرائيل إلى عروبة خليجية تهادن إسرائيل وتتحالف معها تحت الطاولة. لم يتنصّل هذا الحزب الحالي من عهد أمين الجميّل، واحد من أفسد العهود في تاريخ الجمهورية والذي تنصّب بمشيئة إسرائيلية. على ماذا يتفق «الشيوعيّون» و«الكتائبيّون»؟ على معارضة حسّان دياب؟ هل يستحق هذا التوافق القفز على جثث الآلاف من «الشيوعيّين» والمدنيّين والمدنيّات؟ هل التوافق بين الحزبيْن على «مكافحة الفساد» يكفي لتسويغ اللقاء؟ حسناً، إن عائلة الحريري وعائلة جنبلاط وعائلة برّي تعادي الفساد أيضاً. من لا يعادي الفساد؟ إن معايير «الشيوعيّين» يجب أن تختلف عن معايير الأحزاب الكلاسيكية. هناك اتجاهات ليبرالية واضحة بين الجيل الجديد من «الشيوعيّين» (وقد لاحظتُ ذلك في تواصلي مع «شيوعيّين»). ولوحظ أن حريريّين وقواتيّين أثنوا على الاتجاه الجديد للحزب «الشيوعي»، بينما ردّ بعض «الشيوعيّين» بأنّ «لا صداقة دائمة ولا عداء دائماً». لكن هذه معايير الأحزاب البورجوازية. الأحزاب «الشيوعيّة» هي أحزاب عقائدية، تثبت على عقيدة بصرف النظر عن شعبيّتها أو انعدامها. هل يعني ذلك دعوة لمقاطعة أبدية لحزب «الكتائب»؟ ليس بالضرورة، إذا ما طالب اليسار بحظر حزب «الكتائب» وشعاراته من الحياة السياسية اللبنانية. لمَ لا؟

* كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

الحراك والحكومة و«صفقة القرن»

حبيب البستاني *

ربما من غريب الصدف أن تترافق التحرّكات الشعبية، في كل من بيروت والعراق وطهران، مع ما آلت إليه الأمور السياسية والاستراتيجية في المنطقة، وما تمّ إعلانه عن البدء بتنفيذ «صفقة القرن» من قبل الرئيس الأميركي دونالد ترامب ورئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، وقد كانت لافتة مشاركة بني غانتس، زعيم «أزرق أبيض» المناوئ لحزب «الليكود»، وغياب ممثلي الدولة الفلسطينية المعنية الأولى بهذه الصفقة، التي لم يجرؤ أي زعيم دولة عربية على المشاركة فيها.

في التوقيت

الانتخابات الأميركية الرئاسية ليست بعيدة، إذ إنها ستجري في شهر تشرين الثاني / نوفمبر 2020، في الوقت الذي ترافق فيه انخفاض شعبية ترامب مع محاولة الديموقراطيين عزله عبر ما يعرف بالـimpeachment، وهكذا يبدو المشهد الأميركي، رئيس يواجه متاعب حقيقية، ليس فقط لناحية عدم قدرته على التجديد لولاية ثانية، بل ربما عدم قدرته على الاستمرار في ولايته. كلّ ذلك يحتّم واحداً من اثنين، إما شدّ العصب الأميركي وإما استقطاب جماعات جديدة لتأييده، وربما الاثنان معاً. لقد تمكّن ترامب من شدّ العصب، عبر عملية تصفية قائد «فيلق القدس» الجنرال قاسم سليماني، وها هو يريد استقطاب الناخبين اليهود بإعلانه، وبصورة أحادية، «صفقة» القرن والبدء بتنفيذها.

من جهة ثانية، لقد اصطحب نتنياهو خصمه اللدود بني غانتس للدلالة، ليس فقط على الامتنان الكبير لترامب، بل للقول إن كل اليهود، لا سيما الأميركيين منهم، سيقفون إلى جانبه في الانتخابات المقبلة. وهذا ما كان يفعله أسلافهم إبان الأزمات الكبرى التي كانت تمرّ بها إسرائيل في مختلف الحروب، من حرب الأيام الستة في حزيران عام 1967، إلى حرب تشرين، وغيرها، حين كانت الولايات المتحدة تلعب الدور الأساسي في حماية الدولة العبرية، بينما كان اللوبي الصهيوني يبادل الرئيس الأميركي التأييد.

إن «صفقة القرن» لا تمثّل استكمالاً لوعد بلفور فقط بالنسبة إلى إسرائيل، بل تؤمّن الاطمئنان والطمأنينة للدولة العبرية، لعقود وعقود، فترتاح من الخطر الديموغرافي المحدق بها، عبر توطين فلسطينيي الشتات حيث هم، وتؤمّن الحدود الآمنة بحيث تقتطع أراضي إضافية من أراضي الدولة الفلسطينية، وصولاً إلى مرتفعات الجولان السورية، وكذلك تؤمّن البعد التلمودي لإسرائيل، بحيث تنتهي من حدود ما قبل عام 1967، بعدما كانت قد انتهت من حدود عام 1948، وتصبح القدس عاصمة إسرائيل الأزلية. كذلك، فإنّ الصفقة تقتطع جزءاً من الضفة الغربية، حيث المستوطنات التي قامت إسرائيل ببنائها، والتي يعتبرها معظم دول العالم غير شرعية، فيما الولايات المتحدة سبق أن أعلنت شرعيتها في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام الماضي. وبالتالي، فإنّ الصفقة ستشرعن عمليات الاستيطان العشوائية والمخالفة لأبسط قواعد القانون الدولي.

الحراك والصفقة

إن القراءة الجيّدة والموضوعية للأحداث، لا تبدأ من حيث المنطلقات، بل من حيث النتائج التي وصلت إليها. وهكذا، كما في العلم الجنائي، فإن وجود المستفيد يبرّر في معظم الحالات حصول الجريمة. وهكذا، فإنّ الحراك قد بدأ فعلاً بمطالب معيشية محقّة نابعة من وجع الناس ومعاناتهم الاقتصادية والاجتماعية، لكن السؤال الذي علينا طرحه هو هل فعلاً بدأ الحراك أو الثورة من مطالب لا يختلف اثنان على أحقيّتها، أم أن البعض استغلّ الوجع والفقر والجوع ليرضي أجندته السياسية؟ وكيف نفسّر أنّ التحركات التي بدأت، هي نفسها في بيروت وبغداد وطهران، والمطالب السياسية هي نفسها؟ بدأت من الوجع ذاته وانتهت إلى المطالب ذاتها؟ فبقراءة بسيطة نرى، مثلاً، أنّ الحراك في العراق أعرب عن عدم رضاه عن تكليف رئيس الحكومة الجديد، كونه غير مستقلّ وكونه كان وزيراً سابقاً، وفي بيروت الخلاصة نفسها. أما في طهران، فالأمور اختلفت لعدة أسباب، ليس آخرها أن الجمهورية الإسلامية هي دولة دينية بالكامل.

عملية إلهاء كبيرة

هكذا، يتبيّن أنّ الراعي الأميركي لـ«صفقة القرن» أراد شلّ الشعوب العربية، لا سيما في دول الممانعة، كي لا تقوم بردود فعل كبيرة عليها. وقام هذا الراعي باستعمال أدواته ونفوذه في هذه الدول، للبدء بعملية إلهاء كبيرة تهدف إلى تصوير الناس كمجموعة من الفقراء والمعوزين ضربها الجوع، وأصبحت عاجزة عن إدراك الخطر الحقيقي المحدق بها، والذي يتجاوز المعضلة الاقتصادية بأشواط وأشواط. فماذا ينفعنا إذا تمّ توطين الفلسطينيين في لبنان ومَنعُ النازحين من العودة؟ وهل تنفع الـ6 مليارات دولار التي تمثّل حصة لبنان من الصفقة؟ وماذا تعني 6 مليارات دولار، في وقت أشار فيه التقرير الذي وضعته الأمم المتحدة، بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي وصندوق النقد الدولي، إلى أن كلفة النزوح وانعكاساتها تجاوزت 20 مليار دولار على لبنان؟ هذا من الناحية الاقتصادية، أمّا من الناحية الديموغرافية، فإنّ التوطين وبقاء النازحين سيؤديان إلى انفجار أمني ومذهبي في لبنان.

الرئيس صمام الأمان

ليس صدفة أن يقوم أكثر من زعيم وسياسي معروف الولاء والهوى، بعملية نقد لمواقف رئيس الجمهورية، الذي نادى برفض التوطين وتكريس حق العودة وضرورة عودة النازحين، أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. وقال هؤلاء بصريح العبارة، إن ما ينادي به الرئيس هو فزاعة لا أكثر ولا أقل. بحجة أن الدستور اللبناني قد أشار في مقدمته إلى رفض التوطين، فما هو موقفهم اليوم؟ وهل استفاقوا من سباتهم العميق بعدما سمعوا ورأوا أن رئيس أكبر دولة في العالم ينادي بإبقاء اللاجئين في مواقعهم، وكذلك لا يفعل شيئاً لعودة النازحين؟ لقد آن الأوان ليتّحد اللبنانيون، ويضطلعوا بواجباتهم الوطنية ويتّعظوا من النكبة التي حلّت بفلسطين، ليقفوا صفاً واحداً إلى جانب رئيس البلاد، بعيداً عن الحسابات السياسية الضيّقة، للاستبسال في الدفاع عن وطنهم ودرء الأخطار الكيانية المحدقة به. وهنا، لا بد من ترداد الكلمة التي أنهى بها الرئيس خطابه الرافض لـ«صفقة القرن»، أمام مؤتمر القمة العربية في عام 2017: «اللهم أشهد أني بلغت».

* كاتب سياسي

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 15 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

سوريا

صواريخ أرض ـ جو بأيدي المسلحين
تركيا تتحسّب لما بعد «M5»

في وقت يقترب فيه الجيش السوري من إكمال «طوق الأمان» حول طريق حلب ـ حماه الدولي، تواصل تركيا إرسال تعزيزات إلى إدلب بهدف عرقلة تقدّم الجيش والحيلولة دون وصوله إلى نقاط تعتبرها النقرة حسّاسة. تحركاتٌ تتزافق مع بروز تطوّر لافت في قدرات المسلّحين المدعومين تركياً، لناحية امتلاكهم مضادّات طيران دقيقة للمرة الأولى منذ سنوات

يبدو أن الهدف المرحلي للجيش السوري، والمتمثّل في تأمين طريق حلب ـ حماة الدولي (M5)، بات باليد تقريباً، بعدما سيطر الجيش على الطريق، وبات يسعى إلى توسيع سيطرته إلى الغرب منه لكي يصبح أمناً من أيّ محاولات لقطعه مجدداً. وفي هذا السياق، يتابع الجيش، منذ يومين، عملياته في ريف حلب الغربي، حيث سيطر أمس على بلدة أورم الكبرى وبات على تخوم بلدة كفرنّاها، بعدما تمكّن من السيطرة على «الفوج 46»، القاعدة الواقعة على بعد 12 كلم غربي مدينة حلب. ولهذه القاعدة العسكرية رمزية خاصة، إذ إنها سقطت بيد المسلحين في عام 2012، حيث أعدموا فيها ما يقارب 150 عسكرياً. وبالسيطرة على «الفوج 46»، يصبح الجيش على بعد أقل من 5 كلم من مدينة الأتارب، إحدى أهم المدن الاستراتيجية في الريف الحلبي الغربي.

وفيما يراقب الجنود والضباط الأتراك المنتشرون في المنطقة تحركات الجيش بهدف توقع خطواته المقبلة، فهم يعملون أيضاً على عرقلتها عبر التدخل المباشر. ويوم أمس، دخلت عشرات الآليات العسكرية التركية إلى مدينة الأتارب في ريف حلب الغربي، والتي بات الجيش على مقربة منها. كما أنشأت القوات التركية نقطة عسكرية، نشرت فيها مدافع متطورة، قرب بلدة كفر كرمين، الواقعة غربي الأتارب. وتهدف تلك التعزيزات الجديدة إلى فرض واقع ميداني يمنع الجيش من التقدم باتجاه مدينة الأتارب، ثم كفر كرمين، وبالتالي قطع طريق باب الهوى، حيث المعبر الحدودي المهمّ مع تركيا. كذلك، انتشرت، أمس، اليات ودبابات تركية في مدينة أريحا، جنوبي مدينة إدلب، على الطريق الدولي حلب ــ اللاذقية (M4). وفي هذه النقطة أيضاً، يُعَدّ الدافع خلْف التعزيزات التركية منع الجيش السوري من التقدّم من جهة بلدة النيرب شرقي أريحا، وبالتالي بدء مسار سيطرته على «حلب ـ اللاذقية»، الذي ينصّ «اتفاق سوتشي» على فتحه.

وتعمل القوات التركية على عرقلة تقدّم الجيش وانتشاره عبر القصف المباشر، أو عبر توجيه المسلحين ليشنّوا هجوماً بدعم منها. وفي اليومين الماضيين، شنت الفصائل هجمات عدّة ضدّ مواقع الجيش في ريف حلب الغربي، من دون تحقيق نتائج تذكر. ويوم أمس، نشرت وكالة «أنا» الإخبارية الناطقة بالروسية مقطع فيديو يظهر آلية عسكرية تركية تحترق بعدما تمّ استهدافها من قِبَل عناصر الجيش. وذكر مراسل الوكالة، في مقطع الفيديو، أن «الجيش السوري دمّر 3 مدرعات تركية، وقتل طاقمها من المسلحين خلال تصدّيه لهجوم شنّه هؤلاء على مواقعه على محور كفر حلب في ريف حلب الجنوبي الغربي». كذلك، قصفت القوات التركية، بصواريخ متوسطة المدى، مواقع الجيش في ريف حلب الغربي، انطلاقاً من منطقة لواء إسكندرون داخل الحدود التركية.

قصفت راجمات الصواريخ التركية مواقع الجيش السوري في ريف حلب الغربي (أ ف ب)

العدوّ يقصف محيط مطار دمشق

شنّت طائرات حربيّة إسرائيليّة، ليل الخميس ـ الجمعة، غارات ضدّ أهداف في العاصمة دمشق، شملت منطقة المطار ومحيطها، بالإضافة إلى عدد من المواقع العسكرية التابعة للجيش السوري. وفيما أفاد شهود عيان بأنهم شاهدوا الصواريخ وهي تعبر الأجواء اللبنانية لتصل الى أهدافها في دمشق، ذكرت الوكالة السورية الرسمية أن الصواريخ «مصدرها الجولان المحتل». ونقلت «سانا» عن مصدر عسكري قوله إنه «تمّ رصد صواريخ معادية قادمة من فوق الجولان المحتل. وعلى الفور، تعاملت معها منظومات دفاعنا الجوي وأسقطت عدداً منها قبل وصولها إلى أهدافها». وعلى عكس ما جرى تداوله، أكدت مصادر أمنية مطّلعة لـ«الأخبار» أن «لا إصابات من غير الجنسية السورية»، متحدثة عن «سقوط شهيد سوري واحد، وإصابة عدد من الجنود».

(الأخبار)

لكن ما بدا لافتاً، هو تمكّن المسلحين أمس من إسقاط طائرة مروحية سورية، للمرة الثانية خلال يومين تقريباً، في ريف حلب الغربي. ولم تكن لدى المسلحين، طوال سنوات الحرب، القدرة على إسقاط الطائرات المروحية بصواريخ دفاع جوي دقيقة؛ إذ كانت حوادث إسقاط المروحيات قليلة نسبياً، وغالباً ما تتمّ عبر أسلحة رشاشة، وبواسطة دفاعات جوية تقليدية. أما اليوم، فقد بدأ المسلحون يستخدمون أنواعاً متطورة من مضادّات الطيران، في ما يشكّل خطراً جدياً على تحليق مروحيات الجيش السوري. والجدير ذكره، هنا، أن من تبنّى عملية إسقاط الطائرة هي ما تعرف بـ«الجبهة الوطنية للتحرير»، التي شكّلتها أنقرة، وتُعدّ أكثر الفصائل المسلحة التصاقاً بها وعملاً بأوامرها. وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على أن الجيش التركي هو من زوّد، على الأرجح، المسلحين بصواريخ مضادة للطائرات. وما يعزّز الترجيح المتقدّم هو تهديد الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، قبل يومين، بأن «الطائرات التي تضرب البلدات في إدلب لن تعود قادرة على التحرك بحرية كما قبل»، علماً بأن من المستبعد قيام القوات التركية بإسقاط طائرات سورية أو روسية بنفسها، لتجنّب تصعيد كبير مع موسكو.

> دخلت عشرات الآليات العسكرية التركية أمس إلى مدينة الأتارب في ريف حلب الغربي

إلى ذلك، نفى مركز المصالحة التابع لوزارة الدفاع الروسية مزاعم تركيا عن إيقاعها خسائر في صفوف الجيش السوري في إدلب. وفيما عقد الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، اجتماعاً في مجلس الأمن الروسي، تناول «الموقف المتوتر حول إدلب بسبب نشاط الجماعات الإرهابية»، ذكرت وكالة «إنتر فاكس» أن وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، سيجتمع مع نظيره التركي، مولود جاويش أوغلو، في ميونيخ يوم غد الأحد، على هامش مؤتمر ميونيخ للأمن.

(الأخبار)

العراق

تعزيز دور «الناتو»:
التفاف أميركي أم بداية انفكاك؟

تنقسم الآراء العراقية في شأن ما أُعلن - في الساعات الماضية - عن موافقة بغداد على تولّي «الناتو» بعض الأنشطة التدريبية التي كان يتولّاها «التحالف الدولي لمحاربة داعش» (بقيادة واشنطن)، وذلك في أولى نتائج المباحثات القائمة بين العراق والولايات المتحدة حول مطلب انسحاب قوات الأخيرة من بلاد الرافدين. وبينما يرى البعض في الإعلان «التفافاً» على القرار البرلماني القاضي بجدولة انسحاب القوات الأجنبية المنتشرة على طول الخارطة العراقية، يقاربه آخرون بـ«إيجابية»، عادّين إياه خطوة أولى ستعقبها خطواتٌ أخرى «تحفظ ماء وجه الأميركيين... الرافضين لأي انسحاب مذلّ من البلاد». ومن هنا، هم يعتقدون بأن تعزيز دور بعثة «حلف شمال الأطلسي» بداية لـ«فكّ الارتباط» بالأميركيين.

أصحاب الرأي الأول يتسلّحون بتصريح لمصدر دبلوماسي أوروبي لوكالة «فرانس برس»، أكد أن «نقل المسؤوليات إلى الناتو كان على الدوام مؤشّراً مسبقاً إلى فكّ ارتباط الولايات المتحدة بالعراق»، مستحضراً مثلَي «قوّة كفور» في كوسوفو، وبعثة «الدعم الحازم» في أفغانستان. لكنه شدّد - في الوقت عينه - على أن «هذا لا ينجح إلا إذا تضمنت البعثة عنصراً أميركياً قوياً». في هذا الإطار، لا يزال الغموض يلفّ عديد القوات التي سيتمّ نقلها من «التحالف» إلى «الناتو»، وتفاصيل مهامها، وهو ما يفترض أن يتّضح قريباً بحسب الأمين العام لـ«الناتو»، ينس ستولتنبرغ، الذي أوضح أن المهمة الموكلة للحلف هي «تدريب القوات العراقية ليصبح بإمكانها محاربة داعش، ومنعه من إعادة تنظيم صفوفه وتكثيف أنشطته في العراق».

وكان القائد الأعلى لـ«الناتو» في أوروبا، الجنرال الأميركي تود وولترز، أعلن أن «الحلف سيتآنف في الأيام أو الأسابيع المقبلة أنشطته التدريبية للقوات العراقية»، والتي عُلّقت مطلع كانون الثاني/ يناير الماضي بعد اغتيال واشنطن نائب رئيس «هيئة الحشد الشعبي» أبو مهدي المهندس، وقائد «قوة القدس» في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني، ورفاقهما.

في المقابل، يستند أصحاب الرأي الثاني إلى المساعي الأميركية في تعزيز بعثة «الناتو» ونقل مهمات «التحالف الدولي» إليها، ومطالبة واشنطن حلفاءها بتولّي مزيد من المسؤوليات في العراق. مساعٍ ومطالبات يرى فيها هؤلاء دليلاً على أن ثمة محاولة خداع أميركية، تستهدف تبديل جلد الاحتلال ليس إلا. لكن مصادر حكومية عراقية تقول إن الأميركيين يريدون أن يتخذوا من بعثة «الناتو»، التي تضمّ 500 عنصر بقيادة كندية، «ساتراً» لسحب قواتهم «القتالية» من العراق، حفاظاً على صورتهم. وسبق للأميركيين أن أبلغوا العراقيين بأنهم «ملتزمون بالانسحاب التدريجي، ولكن من دون تحديد سقف زمني لذلك»، وعليه فهم يعملون على صياغة حلول من هذا النوع، عبر قناة «الناتو»، وفق ما أفادت به سابقاً معلومات «الأخبار».

إزاء هذا التضارب، وفي ظلّ افتقاد المصادر الأمنية العراقية أجوبة واضحة، يُطرح السؤال حول موقف فصائل المقاومة التي كانت تعهّدت بسلوك سبلها الخاصة لطرد قوات الاحتلال الأميركي في حال فشل الجهود الدبلوماسية في ذلك. هنا، يبدو لافتاً ما قاله الأمين العام لـ«حركة النجباء»، أكرم الكعبي، أمس، من أن «الأوان حان لنبذ العَدّ التنازلي لساعة الصفر، والتي اقتربت كثيراً»، وإعلانه أن فصائل المقاومة باتت على «جهوزية هجومية، إذ أكملت إنجاز الجهوزية الدفاعية وستبدأ حرب الاستنزاف من طرف واحد».

(الأخبار)

خرج المئات، أمس، في تظاهرة دعا إليها زعيم «التيار الصدري» مقتدى الصدر في مدينة الكوفة جنوبي البلاد رفضاً لـ«التحزّب الطائفي وحفاظاً على الإرث الاجتماعي المتحدي» (أ ف ب)

اليمن

ثالث مديرية من مأرب بأيدي الجيش واللجان الشعبية

صنعاء ـ **الأخبار**

لم تتوقف المواجهات بين قوات الجيش اليمني واللجان الشعبية مسنودةً بأبناء قبائل مأرب والجوف، والقوات الموالية للرئيس المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي المسنودة جوّاً من قِبَل طيران «التحالف»، في محيط مدينة مأرب، مركز محافظة مأرب، ومعقل حزب «التجمع اليمني للإصلاح» (إخوان مسلمون). ووفقاً لمصادر ميدانية، فقد تمكّنت قوات الجيش واللجان، أول من أمس، من السيطرة على مديرية الجدعان (مدغل) بالكامل، وأسقطت مركزها الواقع على بعد 15 كيلومتراً من مدينة مأرب، والمشرف على بقية الخطّ الرابط بين مأرب وصنعاء. إسقاط الجدعان، التي تُعدّ ثالث مديرية من مديريات مأرب تسقط تحت سيطرة الجيش واللجان في عملية «البنيان المرصوص» التي أطلقت الشهر الماضي وأدت إلى سقوط جبهة نهم، جاء عقب تمكّن قوات صنعاء من السيطرة الكاملة على جبلي الأدرم وصلب الاستراتيجيين، اللذين يقعان بمحاذاة مديرية الجدعان. هذا التطور يضع أجزاء كبيرة من مدينة مأرب تحت سيطرة الجيش واللجان، إلا أن عضو المكتب السياسي لـ«أنصار الله»، محمد البخيتي، أكد أن قيادة صنعاء جمّدت عملية دخول المدينة في الوقت الحاضر لاعتبارات إنسانية، وأيضاً لوجود وساطات عربية، ولإعطاء «الإصلاح» فرصة للوفاء بالتزاماته ومراجعة حساباته.

في المقابل، يبدو أن «التحالف» يتّجه إلى استبدال الميليشيات السلفية الجهادية بالميليشيات «الإصلاحية» في مأرب، وهو ما بدا واضحاً من خلال مباشرته إعادة ترتيب صفوفه خلال الأيام الماضية، حيث تمّ عزل عدد من القيادات العسكرية التابعة لـ«الإصلاح». ويرى الموالون لـ«الإصلاح» في هذا التوجّه فرصة لم تسنح لهم منذ أربع سنوات لتفكيك منظومة الحزب العسكرية من جانب، وتشكيل أول ألوية الميليشيات «الحزام الأمني» المدعومة إماراتياً في مأرب، بتوجيهات من قائد «القوات المشتركة»، اللواء صغير بن عزيز، الذي يقف على النقيض من «الإصلاح»، من جانب آخر. ووفقاً لمعلومات «الأخبار»، فإن بن عزيز كلّف الشيخ القبلي طارق القردعي، الذي ينحدر من قبيلة مراد المأربية، بتشكيل اللواء المذكور من أبناء قبائل مأرب المناهضة للوجود العسكري لـ«الإصلاح» في المحافظة. وتفيد المعلومات بأن العشرات من المسلحين الموالين للإمارات سيطروا على عدد من المناطق الواقعة شرق مأرب، فيما تمّ نشر عدد من أتباع التيار السلفي، الذي يقوده يحيى الحجوري المتواجد في منطقة الجوبة، على خط مأرب - الجوبة. وفي اتجاه تفكيك القبضة العسكرية لـ«الإصلاح» على مأرب، وجّهت قيادة «التحالف»، الخميس الماضي، بعزل ثمانية من قادة المعسكرات الموالين للحزب، وتعيين آخرين موالين لـ«حزب المؤتمر الشعبي العام» مكانهم، من دون استشارة نائب الرئيس الجنرال علي محسن الأحمر. وبحسب المعلومات، فإن التوجيهات قضت بتعيين الشيخ محمد محسن الحرملي رئيس أركان حرب المنطقة السابعة، والعميد يحيى حنش قائداً لـ«اللواء 314 مدرع»، والعقيد يحيى تامة قائداً لـ«اللواء 29 ميكا»، ومحمد العسودي قائداً لـ«اللواء 203 مشاة»، والعقيد عبد العزيز الحيدري قائداً لـ«اللواء 133 مشاة»، والعقيد عبد الرقيب دبوان قائداً لـ«اللواء121 مشاة»، و محمد الذيفاني قائداً لـ«اللواء 310 مدرع»، والعقيد حسين العكمي قائداً لـ«اللواء 141 مشاة». هذه التغييرات، التي تمّت بترشيح من وزير دفاع هادي محمد المقدشي وقائد «القوات المشتركة» بن عزيز، اعتبرها مراقبون مؤشراً على وجود توافق إماراتي - سعودي على التخلّي عن «الإصلاح»، وتسليم القيادة العسكرية في مأرب لمحسوبين على «المؤتمر».

> وجّهت قيادة «التحالف» بعزل ثمانية من قادة المعسكرات الموالين لـ«الإصلاح» في مأرب

وتأتي تلك المستجدّات في ظلّ اشتداد المعارك بين قوات الجيش واللجان وقوات هادي في عدد من المناطق في الجوف، بعد أن تمكنت الأولى من السيطرة الكاملة على منطقة العقبة، وتقدّمت باتجاه مناطق المحزمات ومناطق أخرى. وفي محاولة لإعاقة تقدّم قوات صنعاء، شنّ طيران العدوان، خلال الأيام الماضية، عشرات الغارات على مديريات الغيل وخب والشعف والمتون في الجوف، وكذلك على عدد من مناطق محافظتَي مأرب وصنعاء. وبالتزامن مع تطوّرات الجوف ومأرب، قدّم اللواء هاشم الأحمر، الأربعاء الماضي، استقالته رسمياً من قيادة المنطقة العسكرية السادسة في قوات هادي من دون توضيح الأسباب، محتفظاً لنفسه بـ«اللواء 114» الذي يضمّ مقاتلين من قبيلة حاشد، وينتشر عند منفذ الوديعة الحدودي مع السعودية.

مصر

تزايد الاستثمارات الإماراتية: «أبو ظبي» يستحوذ على «عودة»

يعتزم عدد من البنوك الإماراتية ضخّ استثمارات واسعة في مصر، وسط وعود رسمية بتسهيلات تضمن بيئة عمل مناسبة للبنوك الوافدة

القاهرة - **الأخبار**

تسود حالة من الترقّب أسواق البنوك المصرية، في ظلّ توجّه إماراتي لضخّ استثمارات واسعة فيها، إذ يجري التفاوض بصورة معلنة للاستحواذ على بنكين مصريين عبر بنوك إماراتية، فيما تجري مفاوضات سرية ثالثة في شأن الاستحواذ على بنك آخر. ومن أبرز العمليات المتوقع إتمامها استحواذ «بنك أبو ظبي الأول» على «بنك عودة مصر» الذي يسعى إلى الخروج من السوق المصرية بسبب الأزمة الاقتصادية في لبنان كما يشاع، علماً أن «عودة» كان يسعى قبل أسابيع إلى الاستحواذ على «البنك الأهلي اليوناني»، لكن المفاوضات تعثّرت لأسباب تتصل بحقوق العاملين في الأخير. وتقترب المفاوضات بين البنكين الإماراتي والبناني من المراحل النهائية، بعدما حصل مسؤولو «بنك أبو ظبي» على وعود من البنك المركزي المصري بتسهيل عملية الاستحواذ، وتسوية أوضاع العاملين في الفروع المختلفة لـ«عودة» الذي زاد انتشاره في الشهور الماضية على نحو ملحوظ.

وفي التفاصيل، فقد وافق «المركزي» على إجراء «أبو ظبي»، وهو أول بنك خليجي بدأ العمل في مصر منذ عام 1975، الفحص النافي للجهالة، فيما ستدرس المجموعة الإماراتية إمكانية التحول إلى شركة مساهمة مصرية عقب إتمام الاستحواذ على «عودة»، علماً أن الأرباح المرتفعة للبنوك المصرية ساهمت في تشجيع البنوك الإماراتية على التوسّع. ويرفض «المركزي»، منذ سنوات، إصدار تراخيص لبنوك جديدة، إذ يكتفي بالموافقة على عمليات الاستحواذ التي تخضع لضوابط وشروط أهمّها موافقته على إتمام العملية، فيما ينصّ مشروع قانون البنوك على مبلغ خمسة مليارات جنيه كحدّ أدنى لرأس المال المدفوع للبنوك المحلية العاملة في البلاد، و150 مليون دولار لفروع البنوك الدولية.

في سياق متصل، أعلنت وزيرة التخطيط والتنمية الاقتصادية، هالة السعيد، وجود عرض إماراتي للاستحواذ على «بنك الاستثمار العربي» الذي يملكه «بنك الاستثمار القومي» الحكومي، بعدما رفعت الجمعية العمومية غير العادية للبنك في نيسان/ أبريل الماضي رأس المال المدفوع ليكون 1,840 مليار جنيه. وتسعى إدارة «الاستثمار»، الملوك لوزارة التخطيط منذ تأسيسه قبل أكثر من 44 عاماً، إلى دعم المركز المالي والقاعدة الرأسمالية وزيادة القدرة التنافسية في السوق المصرفية، في الوقت الذي تعمل فيه الحكومة على تسويق بعض الأصول التي تمتلكها وبيعها.

ومن البنوك الإماراتية العاملة في مصر، «الاتحاد الوطني»، الذي بلغت أرباحه العام الماضي 429,283 مليون جنيه، بزيادة 59% عن عام 2018، فيما يريد البنك التوسّع في المنتجات الإلكترونية عبر تقديم «خدمات الإنترنت البنكي والموبايل البنكي للأفراد والشركات»، إلى جانب إصدار المحفظة الإلكترونية للعملاء. كلّ هذا يجري فيما تحظى الاستثمارات الإماراتية في مصر بدعم كبير من الحكومة، وتسهيلات في قطاعات عدّة بخلاف المصارف، خاصة في ظلّ التحالف الوثيق بين القاهرة وأبو ظبي، إذ يبلغ حجم الودائع الإماراتية لدى «المركزي» ما يقارب 12 مليار دولار موجودة في الاحتياطي النقدي للبلاد، وجميعها وصلت إلى القاهرة بعد عزل جماعة «الإخوان المسلمين» عن الحكم عام 2013.

على الغلاف

بعد أيام من لقائه رئيس وزراء العدو، بنيامين نتنياهو، «بشّر» جنرال السودان، عبد الفتاح البرهان، بتشكيل «لجنة مصغّرة» لبدء مسار إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل. «تبشيرٌ» ليس مستغرباً أن يأتي عبر إحدى وسائل الإعلام السعودية التي باتت البوق المعتمد للتطبيع العلني، على رغم ادّعاء وزير خارجية المملكة، فيصل بن فرحان، أمس أنه «لا علاقات بين السعودية وإسرائيل»، وأن «المملكة تقف بكلّ قوة وراء فلسطين». كيف ذلك؟ بالسعي على قدم وساق في توسيع دائرة المتودّدين إلى إسرائيل، توطئة لتحالف علني عربي – إسرائيلي يطمس شيئاً إسمه القضية الفلسطينية، ويتجاوز حتى موضوعةَ إسمها السلام، لصالح علاقة خيانةٍ يُراد تصويرها وكأنها بديهية. هذا بالضبط ما جرى للسودان منذ ما قبل الانقلاب على عمر البشير، حيث اشتُغل بجدّ على كسبه عضواً في نادي «الاعتدال العربي». اشتغالٌ تصاعد بوضوح عقب الانقلاب، برعاية سعودية – إماراتية تحديداً، أفلحت في اختطاف الحراك الشعبي، وتسليمه لطغمة عسكرية بلغت بها الوقاحة حدّ الادعاء أن التطبيع «يلقى تأييداً شعبياً واسعاً». يُغرى السودان اليوم، في إطار خطاب يُعمَل باجتهاد على تعميمه، بمكاسب سياسية واقتصادية وأمنية تبدو أشبه بـ«سمك في بحر»، فيما تستعدّ إسرائيل لقطف الثمار الحقيقية، المتمثلة أولاً في «تأمين» جبهتها البحرية الجنوبية من أيّ محاولات لدعم المقاومة الفلسطينية.

(الأخبار)

اكتمال القرن الأفريقي - الإسرائيلي: خدعة التطبيع توقع بالسودان

واجه البرهان الردود الشعبية الرافضة لخطوته بكتابٍ إعلامية تستلهم بشكله لافت للغاية تقنيات باوك جوبلز (الأناضول)

محمد مهراث

تتمتّع إسرائيل بعلاقات وثيقة مع دول في منطقة القرن الأفريقي، أهمّها إثيوبيا (الدولة الرئيسة في سياسة الأطراف التي دشّنها ديفيد بن غوريون في خمسينيات القرن الفائت، إلى جانب كلّ من تركيا وإيران كنقاط ارتكاز لمباغتة العرب) وإريتريا وكينيا وأوغندا. وتبرز علاقات إسرائيل بإثيوبيا كنموذج راسخ للتفاهمات العسكرية والأمنية والاستراتيجية، على رغم تقلّب أنظمة الحكم في الأخيرة بين إمبراطورية وشمولية وشبه ديمقراطية، إذ إن الثابت الذي يجمع الطرفين تخوّفهما المشترك والرئيس من تحوّل البحر الأحمر إلى «بحيرة عربية أو إسلامية». كذلك، تحضر إسرائيل بقوة في ملف «جمهورية أرض الصومال»، التي كانت من أوائل «الدول» التي اعترفت بها لدى إعلانها استقلالها في حزيران/ يونيو 1960، وتعهّدت في الأعوام الأخيرة بإعادة الاعتراف بها في ضوء دورها البارز، الآني والمتوقع، في سياسات البحر الأحمر والقرن الأفريقي الأمنية. واخترقت إسرائيل البنى الأمنية في منطقة القرن، كما في الحالة الأوغندية منذ عملية عنتيبي (تموز/ يوليو 1976)، وتولّي تدريب القوات الإثيوبية في عهد آخر أباطرة إثيوبيا هيلا سيلاسي، ومستوى التنسيق الأمني الرفيع في نهاية العام 1984 لإجلاء اليهود الإثيوبيين عبر الأراضي السودانية، في ما عُرف بـ«عملية موسى»، في عهد الرئيس السوداني الأسبق جعفر نميري.

ولم تتراجع قطّ أهمية القرن الأفريقي (والبحر الأحمر) في السياسات الإسرائيلية، لا سيما عبر البوابة الإثيوبية، وصولاً إلى تأمين إسرائيل لـ«سدّ النهضة» الإثيوبي عبر منظومة مضادّة للصواريخ، وتنسيق أديس أبابا لجهود تل أبيب الإقليمية في المنطقة، ودعمها مساعي الأخيرة للانخراط الرسمي في شؤون القارة الأفريقية، والعمل الجماعي فيها عبر كسب صفة مراقب أو العضوية الكاملة في الاتحاد الأفريقي (بدعم من بضع دول أفريقية أبرزها إثيوبيا وكينيا وغانا وتشاد)، وتمرير الضغوط الإسرائيلية على السودان لدفعه إلى تطبيع علاقاته مع إسرائيل في هذه المرحلة البالغة الحساسية. وجاء الاجتماع المباغت لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو مع رئيس «مجلس السيادة» السوداني عبد الفتاح البرهان، في أوغندا مطلع الشهر الجاري، والطريقة المالوفة التي سارعت من خلالها تل أبيب إلى الإعلان عن الاجتماع ومخرجاته، نتيجة طبيعية، وربما متوقعة تماماً، لجهود إسرائيل المستمرة في القرن الأفريقي، ومساعيها إلى إحكام حلقة وجودها هناك، بشمول السودان ضمن دائرة النفوذ والإخضاع.

لكن ثمة ملاحظات مهمة وموجهة بخصوص توقيت بدء التطبيع. فقد جاء الاجتماع بعد أيام قليلة من إعلان نتنياهو والرئيس الأميركي دونالد ترامب «صفقة القرن»، التي تعني ضمنياً مشروعاً لتصفية القضية الفلسطينية، ليمثل صفعة مدوّية لـ«الرفض العربي» للصفقة حتى في حالته الشكلية، واستباقاً لزيارة تأق إليها كثيراً البرهان إلى واشنطن لحسم ملفات عالقة بدورها في تطبيع العلاقات الأميركية - السودانية، وأهمّها رفع العقوبات عن السودان، ودعم الأخير لجهود السلام في جنوب السودان، وإحلال السلام في مناطق النزاعات (لا سيما في دارفور وولايتَي النيل الأزرق وجنوب كردفان)، بما يتيحه من تخفيفٍ للضغط على القوات المسلحة السودانية، التي تصعب - في ظلّ الأزمة الاقتصادية - مواصلة تخصيص ما بين 17 - 20% من موازنة البلاد لها (مقابل أقلّ من 3% لقطاع التعليم على سبيل المثال). كما عبّر التوقيت عن هيمنة إثيوبية واضحة على ملفات عديدة في مسار المرحلة الانتقالية السودانية، حيث جاء الاجتماع بعد دعوات إثيوبية إلى تطبيع عربي - إسرائيلي، وإن اختُصّت الإمارات بدعوة إلى اجتماع بين نتنياهو وولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد، بنسّقه رئيس الوزراء الإثيوبي أبي أحمد.

واجه البرهان، ومن ورائه كتائب إعلامية مسلّحة بخطاب موحد يستلهم بشكل لافت للغاية تقنيات باول جوبلز، الردود الشعبية السودانية الرافضة لهذه الخطوة، بالتأكيد أنه لم يراع سوى «مصلحة بلاده الوطنية»، وأنه يسعى إلى إخراج السودان من عزلته عبر البوابة الإسرائيلية، وأن قيادات في «قوى الحرية والتغيير» لا تعارض التطبيع سراً ولكن ترفضه علناً، إلى جانب لجوئه أخيراً إلى تصريحات هزلية، من قبيل أدائه صلاة استخارة قبيل مصافحة نتنياهو. وفي ظلّ نجاح هذه الهجمة الإعلامية نسبياً، واستمرار الالتباس في مواقف مكونات «مجلس السيادة» والحكومة الانتقالية و«قوى الحرية والتغيير»، يمكن القول إن لقاء نتنياهو - البرهان عبّد الطريق أمام الأخير من أجل الانفراد بشؤون الحكم، في سيناريو شبه حتمي، يقتضي أيضاً

> **لقاء نتنياهو - البرهان عبّد الطريق أمام الأخير من أجل الانفراد بشؤون الحكم**

حصول البرهان على تفويض أميركي - إسرائيلي مقابل مزيد من التنازلات الاستراتيجية والاقتصادية، ولا سيما أن إسرائيل غير معروفة بتقديم أيّ دعم اقتصادي ملموس للدول الأفريقية، والاكتفاء بتقديم دعم فني محدود، أو تمرير برامج مساعدات دولية مشتركة ومحدودة التكلفة. وما يعزّز حظوظ ذلك السيناريو هو بروز تناقضات خطيرة وصعبة الاحتواء بين مكوّنات الحكم الانتقالي، تجلّت في تذبذب موقف الحكومة من خطوة البرهان، وفي المقابل الدعم الكامل الذي لقيته من «كبار ضباط القوات المسلحة»، وما بينهما تحشيد قوى الإسلام السياسي ضدّها، بما يهدّد قدرة الحكومة والعسكر على السواء على احتواء تلك القوى مستقبلاً (لتوظيفها في أيّ استحقاقات شعبية، ولا سيما لناحية وضع الدستور السوداني، الذي تحتمي الحكومة تكتيكياً خلف الإسلاميين في رفضها التسليم فيه بعلمانية الدولة).

من ناحية أخرى، وعلى رغم وفرة وعود التطبيع الإسرائيلي - السوداني على الصعد السياسية والاقتصادية والعسكرية، إلا أن التجربة التاريخية لا تنبئ بإمكانية تحقّق مثل هذه الوعود. على سبيل المثال، يعاني قطاع الزراعة السوداني، الذي يفترض أن تعزّزه المعونات الإسرائيلية الفنية، خللاً هيكلياً لم تنجح الاستثمارات الخارجية الخليجية سابقاً في معالجته، لتتحوّل الاستثمارات برمّتها إلى استقطاع مساحات كبيرة مغلقة، وتوظيف عمالة غير سودانية، لا سيما من سوريا واليمن ولبنان، كما أورد تقرير لـ«بلومبرغ» في نيسان/ أبريل 2019. كذلك فإن مشكلات الزراعة في السودان (الذي يملك أكثر من 190 مليون فدان صالحة للزراعة بأقلّ الإمكانات) تتركّز في الفساد والسياسات المضطربة وعدم الاستقرار السياسي، وليس في مشكلات فنية. وفي المقابل، فإن الهدف الأهمّ من التطبيع سيكون المساعدة في رفع اسم السودان من «قائمة الدول الراعية للإرهاب»، وضمان مساهمة إسرائيل في أيّ ترتيبات أمنية في البحر الأحمر عبر بوابة السودان، إلى جانب شراكاتها المتميزة مع إثيوبيا وإريتريا.

البازار الخليجي

لم يكن لقاء عنتيبي يحتاج إلى أدلّة للكشف عمّن دفع السودان إلى الخطوة، في ظلّ المسار الإماراتي ـ السعودي الجلي، الذي علقت به الخرطوم منذ الانقلاب العسكري على عمر البشير. أتت تسريبات، منها في الصحافة الإسرائيلية، حول ترتيب أبو ظبي للقاء البرهان ـ نتنياهو، لتُعزّز الانطباع بأن المحور المهيمن على قرار الحكم الجديد في السودان يقف وراء الخيارات الجديدة.

في زمن الوصاية السعودية الإماراتية المطبقة، على رجال الخليج في الخرطوم الضعيفة أن يلتزموا بالوصفة الخليجية، الإماراتية المنشأ والمستوردة سعودياً في عهد محمد بن سلمان: إسرائيل بوابة الرضى الأميركي. وإذ يجد حكام السودان الجدد أنفسهم عالقين في تركة العقوبات الأميركية، وأمام استحقاقات اقتصادية في زمن ما بعد البشير، تقدّم أبو ظبي لهم تلك الوصفة تحت حجّة أنها الحلّ الوحيد لجميع الأزمات السياسية والاقتصادية والضمانة لبناء نظام محصّن، فلن تنجح مصالحة واشنطن بغير التقرّب من إسرائيل واللوبي الصهيوني في واشنطن والعالم.

بالموازاة، وبغضّ النظر عن «المصلحة» السودانية، فإن الهدف الحقيقي هو أن تحصد أبو ظبي (القادرة أساساً وحدها على تمويل عجز السودان الاقتصادي) عوائد الدور بأن تقول لإدارة دونالد ترامب إنها تلبّي مطالب هذه الإدارة برفد مشروع تكريس إسرائيل قوة مركزية في المنطقة، وتبديد العداء، والعزلة أمامها عربياً. أي أن جوهر الأمر تقرّبُ أبو ظبي والرياض، لا الخرطوم، من تل أبيب.

استُعمل السودان على توقيت «صفقة القرن» بما يشبه ما تفعله السعودية والإمارات مع نظام البحرين. أي أن المحور السعودي ـ الإماراتي يدفع الخرطوم نحو خطوات تطبيعية متسارعة تخشى حتى الرياض القيام بها علانية، وهذه الحال مع المناممة التي تُستعمل كمختبر أو صندوق بريد أو ورقة بديلة للتقرّب من واشنطن عبر البوابة الإسرائيلية تجنباً لأضرار العلاقة العلنية مع تل أبيب. وهو أمر أكثر صعوبة في مناطق نفوذ أخرى كليبيا واليمن.

ومرة جديدة، يظهر استغلال أبو ظبي والرياض أزمات الحلفاء، عبر الدفع نحو التطبيع كتوطئة لتطبيعهما الأكثر علانية وشمولية. إذ توحي هذه السياسة بوجود خريطة طريق توصل إلى تحالف اقتصادي أمني، شيء منه لا يزال تحت الطاولة، تحلم به واشنطن وتدفع باتجاهه. كل ذلك بعد تهيئة الأجواء عربياً، وترسيخ أن مقاطعة إسرائيل لها ثمن باهظ وعفا عليها الزمن، وأن التطبيع أمر عادي وبديهي ومربح، والكثير من العرب سبقوا إليه.

(الأخبار)

إسرائيل تنتظر التطبيع الكامل: نحو «تأمين» الجبهة البحرية الجنوبية

يحيى دبوق

يُعدّ لقاء رئيس حكومة العدو الإسرائيلي بنيامين نتنياهو مع رئيس «مجلس السيادة» الانتقالي في السودان عبد الفتاح البرهان، نجاحاً إسرائيلياً إضافياً في مساعي التطبيع مع الأنظمة العربية، التي باتت تمتهن الانصياع شبه الكامل والتبعية للثنائية الإسرائيلية - الأميركية الساعية إلى إنهاء القضية الفلسطينية. كما أن اللقاء هو واحد من مظاهر «قمة جبل الجليد» بين تل أبيب والأنظمة العربية، والتي تخفي وراءها عملاً ممتدّاً لسنوات. ينضمّ السودان، رسمياً، إلى قائمة متزايدة من الدول العربية التي تحابي إسرائيل، في مصداق لما يتحدث عنه المسؤولون الإسرائيليون علناً من وجود اتجاه عام لدى دول عربية وإسلامية وأفريقية نحو التطبيع، «من أجل التخادم البيني عبر العلاقة القوية التي تربط إسرائيل والولايات المتحدة، الآمر الذي يتيح تعزيز العلاقات وتطبيعها مع الدول العربية، وهو ما تتّسع دائرته باطراد في السنوات الأخيرة» (صحيفة «مآكور ريشون» 2020/02/04).

التقارب السوداني - الإسرائيلي بدأ فعلياً قبل سنوات، في زمن الرئيس المخلوع عمر البشير، الذي قرّر إيقاف عجلة تقاربه مع إيران، والانسحاب من دائرة دعم القضية الفلسطينية، والانضمام إلى ما تسميه إسرائيل «المحور السني المعتدل في المنطقة» بقيادة السعودية والإمارات. وبعدما كانت الخرطوم مناصرة لفلسطين، باتت أداة في أيدي «الاعتدال العربي» الذي تخلّى عنها لاحقاً. هذه هي الركيزة التي يعمل النظام الجديد على استكمالها بدفعٍ من المحرّك الإماراتي الذي بات مقاول التطبيع في المنطقة. ولئن كُتب الكثير عن «الفوائد» التي يسوّق لها النظام الجديد في الخرطوم للقاء نتنياهو،

> **لتنمية العلاقات مع الخرطوم أهمية لتل أبيب في مجالات حيوية متعددة**

ولاحقاً التطبيع الكامل الذي يُعدّ شرطاً للحصول على صفة «معتدل عربي»، فإن تسليط الضوء على المكاسب الإسرائيلية من التقارب جاء مقلّصاً أو مجتزأً.

واضحٌ أن لتنمية العلاقات وتطبيعها بين الجانبين أهمية لإسرائيل في مجالات حيوية متعددة، من بينها استغلال الموقع الجغرافي الاستراتيجي للسودان على ساحل البحر الأحمر، والذي يتيح لها أن تتمتع بحضور وإحاطة استخبارية أوسع في ممرّ بحري لطالما كان منتجاً لتهديدات أمنية وعسكرية، منها مثلاً تزويد فصائل المقاومة في فلسطين وحولها بالسلاح. فالتقارب مع السودان يتيح بنية تحتية مكانية من شأنها التأثير سلباً في هامش المناورة لدى الجانب الإيراني، عبر تمكين إسرائيل من تعزيز قدرتها على شنّ عمليات إحباط استباقية في منطقة بحرية باتت واسعة جداً. كما أن التقارب بين الخرطوم وتل أبيب يقلّص عملياً أيّ إمكانية لدى الأولى للارتداد لاحقاً عن خياراتها الحالية. وفي هذا الإطار، تأمل إسرائيل أن تتعزّز خسارة إيران للسودان وإمكاناته، ولذا فهي تعمل على تسهيل مهمة حكّام الخرطوم الجدد لتأسيس ما يتعذّر لاحقاً التراجع عنه، بعد الانضمام إلى «المحور السني» بالتعاون مع المعسكر الغربي» في المنطقة. أيضاً، تُعزّز العلاقات مع السودان فرصة نجاح استراتيجية إسرائيل في تعميق حضورها ونفوذها السياسي والأمني والاقتصادي والتكنولوجي في القارة الأفريقية، عبر التأسيس لمزيد من العلاقات مع دول القارة، إن اللقاء، ولاحقاً التطبيع، يشجّعان دول القارة على تغيير موقفها التقليدي الذي اتّسم طويلاً بالعدائية في المحافل الدولية ضدّ إسرائيل. كما يؤدي إلى موازنة، وربما تقليص، نفوذ إيران في عدد من تلك الدول، فـ«إذا كانت الدول العربية نفسها تتقرّب من إسرائيل، فلن يكون أمام الأفريقية أيّ حرج في ذلك» («إذا ماركر» العبرية)، يضاف إلى ما تقدّم أن التطبيع مع السودان يتيح لإسرائيل معالجة مسألة تدفّق المهاجرين الأفارقة الذين يشكلون عاملاً ضاغطاً ويستنزفون الموارد، لأنه «إذا أقام السودان وإسرائيل علاقات دبلوماسية، يصبح بإمكان إسرائيل أن تتوصّل إلى اتفاق مشترك يتعلق بترحيل عشرات الآلاف من المتسلّلين، إلى السودان نفسه» («غلوبوس» العبرية).

(أ ف ب)

يُذكر أنه في أعقاب اللقاء بين نتنياهو والبرهان، تولّد جدل في إسرائيل حول نتائجه، إذ رأى البعض أنه جاء كما أراده نتنياهو، ربطاً باقتراب موعد الانتخابات، عبر تأكيد دور الرجل في تعزيز العلاقات الخارجية، ولا سيما مع العرب، ودفعها إلى العلن بعد أن كانت محصورة في الغرف المغلقة. لكن، في المقابل، ثمة من اعتبر أن اللقاء، وإن كان توقيته وشكله يخدمان نتنياهو، إلا أنه في الأساس تعبير عن اتجاه في العالمين العربي والإسلامي، وكذلك في أفريقيا، نحو التطبيع من دون اشتراطات مسبقة تتصل بالقضية الفلسطينية، الأمر الذي يُعدّ واحداً من أهم النجاحات الإسرائيلية (وربما الأميركية) في السنوات القليلة الماضية، بمساهمةٍ من عدد من الدول الخليجية التي ثبت أن ترويج التطبيع من أهمّ مبادئ سياستها الخارجية.

يقول الباحث في «معهد القدس للاستراتيجيا والأمن»، عومير داستري، في مقال تعقيباً على التقارب السوداني - الإسرائيلي، إن العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين لن تبصر النور قريباً، لأن «الكراهية متعمّقة في الشارع السوداني، ويصعب على القادة الجدد تجاوزها»، لكنه يشير إلى وجود «عدد كبير» من الأصوات في الشارع ترى أن الاقتراب من إسرائيل «خطوة ضرورية للتطور الاقتصادي والانضمام من جديد إلى المجتمع الدولي». هذه الرؤية - «الأمل» تختصر في الواقع استراتيجية الجذب الإسرائيلية لعدد من الدول بعد إفقارها وتأزيم وضعها، وذلك بدفعها إلى التخلّي عن خياراتها الوطنية والقومية والانصياع الكامل للولايات المتحدة. وهي استراتيجية تعبّر في حقيقتها عن الاتجاه والمبنى الفكريَّين لـ«صفقة القرن» الأميركية التي يراد من خلالها تصفية القضية الفلسطينية، عبر تحويلها إلى «تحسين وضع اقتصادي لسكان فلسطينيين»، بدلاً من أن تكون قضية تحرّر وطني من الاحتلال.

على الغلاف

السودان وهجمة الاختراق الإسرائيلية

وليد شرارة

الرئيس التونسي قيس سعيّد محقّ في اعتراضه على استخدام كلمة «تطبيع»، لوصف اعتراف أطراف عربية بالكيان الصهيوني، وإقامة علاقات سياسية واقتصادية وثقافية معه. من منظور وطني وقومي، وحده مصطلح خيانة يعبّر عن حقيقة مثل هذا الفعل الذي يضرب عرض الحائط بمصالح الأمة وجميع شعوبها وتطلّعاتها إلى الاستقلال والنهضة والوحدة. لقد مُنعت شعوب الأمة من تحقيق هذه التطلّعات بسبب منظومة السيطرة الغربية المُطبقة عليها منذ بدايات القرن العشرين، والتي يحتلّ فيها الكيان الصهيوني موقعاً مركزياً منذ أواسطه، لكن ما يزيد الأمر خطورة اليوم هو أن استماتة بعض الأنظمة والنخب لبناء علاقات مع إسرائيل، قد تصل إلى حدّ التحالف، تتزامن مع جملة تطورات بالغة الخطورة شهدتها المنطقة في العقدين الماضيين، كاندثار النظام الإقليمي العربي ومؤسّساته، وتحوّل عدد من دوله إلى دول متداعية تحتدم فيها التناقضات والانقسامات الداخلية. ولا شك في أن سلسلة الانتفاضات الشعبية التي انفجرت في الإقليم العربي بدءاً من سنة 2011، كانت نتاجاً لهذا الواقع، بمعزل عن مآلاتها في مراحل لاحقة بفعل تضافر جملة من المؤثرات الداخلية والخارجية.

اندثار النظام الإقليمي العربي، الذي تعود بداياته إلى دخول العراق إلى الكويت عام 1990، تسارعت وتيرته في السنوات الماضية، ويفضي اليوم إلى إعادة تموضع استراتيجي لقسم كبير من دول الخليج، تمثّلت في الاتجاه إلى التحالف العلني مع إسرائيل برعاية أميركية.

التطور الثاني الشديد الخطورة هو صراع الخيارات في البلدان التي شهدت انتفاضات وهبّات شعبية بسبب استفحال الأزمة العامة لأنظمتها. ما يجري اليوم في السودان يقدّم مثالاً واضحاً عن كيفية دخول إسرائيل والولايات المتحدة، بمساعدة حلفائهما الخليجيين، على خطّ صراع الخيارات المذكور، والسعي إلى ترجيح الأنسب لهما على حساب المطالب والتطلّعات الأصلية للشعب السوداني. وفي حال النجاح، سنكون أمام سابقة قد تُوسّع عملية الاختراق الاسرائيلي، بغطاء اميركي وخليجي، للإقليم العربي، لا تقتصر على البعد السياسي، بل تتعدّاه إلى الأبعاد الأمنية والاقتصادية والاجتماعية. فغياب القيادة التي تمتلك خطّاً سياسياً واضحاً يقرن التغيير الداخلي بمواجهة الهيمنة الأميركية وهجمة الاختراق الإسرائيلية المستجدة، يفتح نافذة فرص واسعة أمام مروحة من القوى، تضمّ أجنحة في النظم القائمة وقطاعات من النخب السياسية والثقافية واتباع منظمات الارتزاق غير الحكومية، لإنفاذ أجندتها المرتبطة بتلك الأميركية وحتى الإسرائيلية، في عدة بلدان يستعر فيها الصراع الداخلي، وليس في السودان وحده.

صراع الخيارات ونخب الخيانة

إنشاء تحالف إسرائيلي - عربي هو أحد الأهداف المُعلنة لـ«صفقة قرن» الرئيس الأميركي الآخرق، دونالد ترامب. وإذا تأمّلنا الأحداث المتواترة في السنتين الماضيتين، خاصة في الأشهر الأخيرة، فسنجد أننا أمام تزايد في اللقاءات بين المسؤولين الخليجيين والإسرائيليين، ومشاركة بعض الأوّلين في هرولة الإعلان عن «صفقة القرن»، ومباركتها باعتبارها جهداً محموداً من البعض الآخر، وسيل كبير من المعلومات عن حجم التعاون السياسي والأمني والاقتصادي والتكنولوجي بين الطرفين الإسرائيلي والخليجي، وحملة فكرية - سياسية شرسة للترويج لهذا التحالف. آخر فعاليات هذه الحملة هي الدعوة التي أطلقها ما يسمى «المجلس العربي للاندماج الإقليمي» لإدانة جميع أشكال مقاطعة إسرائيل، واقتراح حلّ عربي للصراع معها يكون بديلاً من السياسة المعتمدة من قِبَل السلطة الفلسطينية وحركة «حماس» على حدّ سواء. يضمّ المجلس مجموعة من «الشخصيات»، النكرات في الواقع، تعمل في المجال العلمي والأكاديمي والثقافي والقانوني والإعلامي من 15 دولة عربية، منهم إجلال الغبطة، وهو محامٍ يحمل الجنسيتين البريطانية والمصرية، ومحمد دجاني الداودي وهو أستاذ جامعي فلسطيني، ومحمد أنور السادات ابن أخ الرئيس المصري المقتول أنور السادات، والخبير العلمي التونسي أسامة سلمي، وسامي النصف

> **نحن أمام استعادة أكثر تطرّفاً لخطاب السادات الذي ربط التسوية بالتنمية والانفتاح**

وزير الإعلام الكويتي الأسبق، ومصطفى الدسوقي الصحافي المصري. الاهتمام الفرنسي والغربي بمجموعة النكرات هذه، التي اجتمعت في باريس في مقرّ «الجمعية الوطنية الفرنسية» بحضور 15 نائباً فرنسياً معروفين بميولهم الصهيونية وتلقّت «مبادرتها» دعماً من قِبَل طوني بلير رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، كان لافتاً. المهمّ هو أن أحد أبرز محاور خطاب المجموعة هو «الفوائد الجمّة» التي سيجنيها العرب من جرّاء تعاونهم العلمي والتكنولوجي مع إسرائيل، وما سيوفّره هذا التعاون من قدرات لإطلاق دينامية تنمية اقتصادية في بلدان شبه منكوبة.

هذه الأطروحات نفسها هي التي يروّجها دعاة التحالف مع إسرائيل في السودان. المعلومات الواردة في وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية والعربية أشارت جميعها إلى أن الاتصالات الإسرائيلية - السودانية تعود إلى سنة 2015، أي إلى عهد عمر البشير، وتمّت عبر محامٍ إسرائيلي يحمل الجنسية البريطانية ويعمل في «محكمة العدل الدولية» في لاهاي، اسمه نيك كاوفمان، وآن الأخير نُسّق بشكل كامل مع مستشار الأمن القومي الإسرائيلي مائير بن شباط. لم تُعطِ هذه الاتصالات نتيجة بسبب الاعتراض الأميركي على عقد صفقة مع البشير، لكن الوضع اختلف جذرياً بعد إطاحته ووصول الفريق عبد الفتاح البرهان إلى رئاسة «مجلس السيادة» السوداني. حسابات البشير والبرهان وكذلك «حميدتي»، أي الفريق أول محمد حمدان دقلو، نائب رئيس «مجلس السيادة»، الذي استأجر خدمات شركة علاقات عامة كندية يملكها أريي بن ميناشيه، الإسرائيلي وعميل الموساد السابق، لتلميع صورته في الولايات المتحدة: توطيد العلاقات مع واشنطن عبر البوابة الإسرائيلية بحسب الاعتقاد الذي انتشر في أوساط العصابات الحاكمة في البلدان العربية منذ أوائل التسعينيات. لتسويغ هذا الخيار وكسب التأييد الشعبي له عبر الانتصار في معركة الأفكار، يلجأ أنصاره إلى ربط العلاقات مع إسرائيل بالتنمية، وبجذب الاستثمارات الأميركية والخليجية والتقانة والخبرة الإسرائيليتين. نحن أمام استعادة أكثر تطرّفاً لخطاب السادات الذي ربط التسوية بالتنمية والانفتاح، على النتائج الكارثية التي بات الجميع يعرفها اليوم طبعاً. العطب الرئيس في الوضع الحالي هو غياب قوة أو تحالف قوى يمتلك بديلاً آخر، مقنعاً وقابلاً للترجمة العملية، يتصدّى لخيار الخيانة على قاعدته. استمرار هذا الغياب يهدّد بتوسّع مدى الاختراق الاسرائيلي للمجال العربي إلى أبعد ممّا يظنّه الكثيرون. وجميعنا يسمع، همساً أو بصوت منخفض حتى اللحظة، آراءً شبيهة بتلك التي تفوّه بها مبارك المهدي، داعية التطبيع مع إسرائيل، في أكثر من بلد عربي.

(الأناضول)

الخرطوم تستوفي شروط واشنطن: «الحُلم» يقترب

فتحت زيارة رئيس الوزراء السوداني، عبدالله حمدوك، إلى واشنطن نهاية العام الماضي، فصلاً جديداً من فصول العلاقات السودانية - الأميركية، تجلّت بوادره في إعلان وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، قرب التطبيع الدبلوماسي والموافقة على تسليم عمر البشير إلى «المحكمة الجنائية الدولية»، بتهمة ارتكاب «جرائم حرب» في إقليم دارفور. وهو ما استُتبع أيضاً بإعلان الحكومة الانتقالية دفع تعويضات مالية بلغت نحو 30 مليون دولار لأهالي الجنود الأميركيين من قتلى المدمّرة «كول»، كلّها خطوات لا تعدو كونها شروطاً وضعتها واشنطن لرفع اسم السودان من قائمة «الدول الراعية للإرهاب» ونقله من الفصل السابع إلى السادس تحت مقرّرات الأمم المتحدة.

منذ إطاحة الرئيس عمر البشير في نيسان/ أبريل 2019، شهدت العلاقات بين الخرطوم وواشنطن تحوّلاً جذرياً. تحوّل هندس سياساته مسؤولو إدارة بارك أوباما، واستمرّ النهج في ظلّ الإدارة الحالية. على مدى عقود، فعلت أميركا كلّ ما أمكنها لعزل السودان ونبذه دولياً. وضعت البلد ضمن قائمتها «للدول الراعية للإرهاب»، وفرضت إداراتها المتعاقبة عقوبات مدمّرة ضدّه. وفي الوقت الذي اندلعت فيه الاحتجاجات في شباط/ فبراير 2019، بدت الإدارة هادئة إزاء تعاملها مع الحدث حتى في أوجّ حملات القمع. حينها، نشرت السفارة الأميركية في الخرطوم صوراً عبر «فايسبوك» لاجتماعات بين دبلوماسيّيها وممثّلي شركة نفط أميركية يروّجون لفرص عمل في السودان. كانت العلاقات السودانية - الأميركية قد بدأت تتحسّن قبل إطاحة البشير، في إطار استيفاء الشروط الأميركية، وهو ما أدى إلى رفع جزئي للعقوبات الاقتصادية في عام 2017، والتعهُّد بـ«التفكير» في مسألة رفع اسمه من قوائم الإرهاب الأميركية.

ظلّت العلاقات الأميركية - السودانية، طوال تاريخها، متأرجحة ما بين سياستَي الاحتواء والمواجهة، واتّجهت نحو مراحلها الأسوأ اعتباراً من تسعينيات القرن الماضي تزامناً مع فرض أميركا عقوبات اقتصادية شاملة على البلاد. تعزّزت هذه العلاقات بعد الانقلاب العسكري الذي قاده الفريق إبراهيم عبود في عام 1958، والذي زار واشنطن للحصول على معونات اقتصادية. أطيح الحكم العسكري في انتفاضة شعبية عام 1964، ما أدى إلى توتّر في العلاقات بين البلدين، وصل حدّ القطيعة إثر اندلاع حرب الـ1967. وفي بدايات انقلاب أيار/ مايو عام 1969 وحتى عام 1971 كانت علاقات السودان مع الإدارة الأميركية سيئة بسبب انحيازه إلى المعسكر الشرقي، وتبنّيه لسياسات مناهضة للرأسمالية. بعد فشل المحاولة الانقلابية عام 1971، غيّر النظام توجّهه، وعزّزت أميركا في تلك الفترة وجودها السياسي والأمني والاقتصادي. ومِن نتائج توطيد العلاقات أن دخلت شركة «شيفرون» الأميركية للاستثمار في مجال النفط، إضافة إلى تدفّق المعونات الأميركية. ظلّت العلاقات بواشنطن في عام 2015 (لأسباب لا تزال غير واضحة)، دفع مسؤولو إدارة أوباما، بقيادة مدير «سي آي إيه»، جون برينان، إلى التقارب بين البلدين، لتظهر عقب المداولات خطة لرفع العقوبات الأميركية عن السودان وإزالته من قائمة «الإرهاب» في مقابل شروط، من بينها: التعاون في مكافحة الإرهاب، والسماح بوصول المساعدات الإنسانية، وغيرهما من أولويات الإدارة الأميركية. تبنّى أوباما الخطّة، وحذا ترامب حذوه بعد توليه منصبه. كانت تلك واحدة من مبادرات أوباما القليلة في السياسة الخارجية التي لم يفكّكها ترامب.

لكن كغيرها من القضايا في عهد ترامب، تعثّرت سياسة السودان بفعل الفوضى في صنع القرار، إلى جانب الشواغر في مناصب رئيسة في المؤسسات الحكومية الأميركية. قدّم السودان معلومات استخباراتية إلى الحلف، وأصبح قناة لنقل السلاح إلى معارضي العقيد معمر القذافي، وفقاً لتقارير أميركية. حين قطعت الخرطوم علاقاتها الاستخباراتية بواشنطن في عام 2015 (لأسباب لا تزال غير واضحة)، دفع مسؤولو إدارة أوباما، بقيادة مدير «سي آي إيه»، جون برينان، إلى التقارب بين البلدين، لتظهر عقب المداولات خطة لرفع العقوبات الأميركية عن السودان وإزالته من قائمة «الإرهاب» في مقابل شروط، من بينها: التعاون في مكافحة الإرهاب، والسماح بوصول المساعدات الإنسانية، وغيرهما من أولويات الإدارة الأميركية. تبنّى أوباما الخطّة، وحذا ترامب حذوه بعد توليه منصبه. كانت تلك واحدة من مبادرات أوباما القليلة في السياسة الخارجية التي لم يفكّكها ترامب.

> **منذ التسعينيات، اتّخذت العلاقات بين البلدين منحىً يمكن وصفه بالسريّ والمتناقض**

لكن كغيرها من القضايا في عهد ترامب، تعثّرت سياسة السودان بفعل الفوضى في صنع القرار، إلى جانب الشواغر في مناصب رئيسة في المؤسسات الحكومية الأميركية. وزير الخارجية السابق، ريكس تيلرسون، سعى إلى إلغاء منصب المبعوث الخاص إلى السودان وجنوب السودان التابع للوزارة كجزء من حملته لـ«إصلاح» الوزارة، بينما ظلّت وظيفة مسؤول «الوكالة الأميركية للتنمية الدولية» في أفريقيا شاغرة لسنوات. طوال الوقت، عمل مسؤولون أميركيون لإدراج السودان ضمن أجندة السياسة الخارجية لرئيس وصف عام 2018 الدول الأفريقية التي تُرسل مهاجرين إلى الولايات المتحدة بأنها «حُثالة».

(الأخبار)

فلسطين

تخفيف البالونات المتفجّرة: ثلاث ليالٍ لاختبار النيات

غزة - الأخبار

تُواصل المقاومة الفلسطينية في غزة تحدّي تهديدات رئيس حكومة العدو الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، بتوجيه «ضربة ساحقة» إلى القطاع في حال تواصل إطلاق البالونات المتفجرة والصواريخ تجاه فلسطين المحتلة، إذ رصدت سلطات العدو، منذ صبيحة أمس، عدداً كبيراً من البالونات في سماء المستوطنات. ويتزامن هذا التحدّي مع حديث العدو عن «وصول رسائل من الوسطاء تفيد بإيقاف حماس إطلاق البالونات والصواريخ»، الأمر الذي ينفيه مصدر في الحركة، قائلاً لـ«الأخبار» إن الوسطاء أبلغوا العكس تماماً، وهو أنه «لا عودة إلى الهدوء إلا بتراجع الاحتلال عن خطواته الأخيرة: فتح البحر للصيادين، وإعادة تصاريح التجار، والسماح بالتصدير وإدخال البضائع»، مضافاً إليها بند «وقف حركة طيران الاستطلاع فوق القطاع»، من أجل التمهيد لـ«إحداث تقدّم حقيقي في تنفيذ بنود تفاهمات التهدئة». ويضيف المصدر أنه بناءً على هذه الرسالة، تُحدّث الاحتلال بشكل أحادي عن فتح البحر، وإعادة التصاريح، والتراجع عن بعض خطوات التضييق على الحركة التجارية عبر «كرم أبو سالم»، و«العدو نفسه أبلغ الوسطاء في وقت لاحق أنه تراجع عن التضييق، وسيواصل السير في تنفيذ تفاهمات التهدئة»، ولذلك «وعدت المقاومة بدراسة وقف البالونات خلال الأيام المقبلة، بعد التأكد من التزام الاحتلال كلّ التفاهمات، إضافة إلى وقف طائرات الاستطلاع». ويشير المصدر نفسه إلى تغيّر في تصريحات نتنياهو، الذي قال صباح أمس إن «الهدوء سيقابله هدوء، والقوة سيقابلها شيء من الصعب على حماس والجهاد تخيّله»، بعد نبرة تهديدية أعلى.

مع ذلك، وبعد وقت قصير من حديثه أمس، نقلت مواقع عبرية أن بالونات شوهدت وهي تحلّق فوق سماء مدينتَي أسدود وبئر السبع، فيما علمت «الأخبار» من مصادر في المقاومة أن التعليمات هي تخفيف أعداد البالونات من دون إيقافها، حتى يتمّ تقييم موقف الاحتلال ومدى التزامه تنفيذ المطالب. وليلة أول من أمس، أعلنت سلطات العدو إعادة فتح البحر أمام الصيادين الفلسطينيين لمسافة 15 ميلاً بحرياً، إلى جانب إعادة تصاريح التجار التي تمّ وقفها الأسبوع الماضي وتُقدّر بـ500. ونقلت «القناة العبرية الثانية» عن مصدر أمني أن «حماس أبلغت إسرائيل بوقف إطلاق الصواريخ والبالونات»، وأن «ليالي الخميس والجمعة والسبت ستكون لحظات اختبار للتأكد من صدق نوايا حماس». رغم هذا، أطلق جيش العدو، صباح أمس، النار على مرصد للمقاومة شرق خان يونس (جنوب)، في وقت حذّرت فيه «حماس» و«الجهاد الإسلامي» العدو من شن أيّ عملية عسكرية جديدة.

> **بادر العدو بصورة أحادية إلى تخفيف بعض القيود التي فرضها أخيراً**

من جهة أخرى، كشف مدير عمليات «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» (الأونروا) في غزة، ماتياس شمالي، نية الوكالة «إعادة النظر في بعض المشاريع» في القطاع خلال الأشهر المقبلة «بسبب قلّة الأموال»، معبّراً عن قلقه من توقعات العام الجاري لأن المؤشرات تدلّ على أنه «سيكون من الصعب جمع التبرعات للعمل في فلسطين، وليس الأونروا فقط». وأضاف شمالي: «هناك دول تشعر أنه ليست هناك حاجة إلى الأونروا وأنها هي سبب المشكلات، خاصة الولايات المتحدة... أنا هنا لا أوجّه إليها أصابع الاتهام، فهم قالوا هذا علناً».

مقالة

بين «صفقة القرن» ووعد بلفور: الوجود الفلسطيني عقبة

علي حيدر

تحوّلت «صفقة القرن» إلى محطة مفصلية في أكثر من مسار إسرائيلي وفلسطيني وإقليمي، تندرج جميعها تحت عنوان جامع هو الصراع مع إسرائيل. وأياً تكن السيناريوات التي ستلي هذه المحطة، فهي تمثّل تتويجاً لمرحلة سابقة نجح فيها العدو في استدراج أنصار التسوية إلى الملعب الذي يملك فيه جميع الأوراق. كما تمثّل بداية لمرحلة جديدة يمتلك فيها المحوران المتقابلان العديد من عناصر القوة، ويواجهان في الوقت نفسه أكثر من نقطة ضعف. فالبيئة الإقليمية لفلسطين يتحرّك فيها مساران متضادّان: أحدهما يتعامل مع القضية الفلسطينية على أنها عبء، ويجهد في تمهيد الطريق للانتقال إلى مرحلة التحالف العلني مع العدو على قاعدة المصالح المشتركة؛ والآخر يرى في تحرير فلسطين واجباً لا يمكن للمنطقة أن تشهد النهوض من دون إتمامه.

لا جدال في أن «صفقة القرن» تنطوي على أبعاد متعدّدة، متصلة باللحظة السياسية والاستراتيجية، والسياق التاريخي، وموازين القوى، والخلفيات الأيديولوجية، وغيرها من العناوين ذات الصلة. وفي هذا الإطار، يحضر الخيط الذي يربط الصفقة بـ«وعد بلفور»، الذي هدف إلى منح الصهاينة الحق في إقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين وعلى حساب شعبها. منذ اللحظات الأولى، برز الوجود السكاني الفلسطيني عقبة أمام تنفيذ المشروع الاستعماري - الصهيوني. ولم يكن القادة الصهاينة ليغفلوا عن هذه المسألة، فتدرّجوا في التعامل معها بما يتناسب مع المرحلة التي وسمت استراتيجيتهم. وهو ما برز في مواقفهم، وأبرزهم منظّر التيار اليميني في الحركة الصهيونية، فلاديمير جابوتنسكي، الذي شرح، في مقالة له في عام 1923، مفهوم الجدار الحديدي، الذي شكل منطلقاً أساسياً لبلورة الأمن القومي الصهيوني في مرحلة ما قبل وما بعد إقامة الدولة. رأى جابوتنسكي أن العرب لن يقبلوا بالدولة اليهودية على أرض فلسطين إلا إذا تمّ فرضه ذلك بالقوة، وكي يسلّم الفلسطينيون والعرب بالمشروع الصهيوني ينبغي أن يشعروا بأنهم يواجهون جداراً حديدياً.

في المحطات التأسيسية، عمد الاحتلال البريطاني إلى سحق مقاومة الشعب الفلسطيني للمشروع الاستيطاني التوسّعي. ثمّ، عندما أراد الصهاينة الانتقال إلى مرحلة إقامة الدولة، عمدوا إلى تهجير الشعب الفلسطيني بهدف تفريغ أرض فلسطين من شعبها، واستبداله بالمستوطنين القادمين بدوافع وعوامل مختلفة. بقي الإنسان الفلسطيني على المهداف الصهيوني للصهاينة ليغفلوا عن هذه المسألة، فتدرّجوا في التعامل معها بما يتناسب مع المرحلة التي وسمت استراتيجيتهم. وهو ما برز في اللاحقة عام 1967، درس الصهاينة مجدداً سبل مواجهة العقبة التي يمثّلها الوجود السكاني الفلسطيني، كما ظهر ذلك جلياً في الوثائق التي سُمح بنشرها حول حرب العام 67. واستمرّ حضور الوجود الفلسطيني في كلّ المشاريع التسووية التالية، وصولاً إلى «اتفاق أوسلو»، حيث شكلت الخارطة الديموغرافية معياراً أساسياً في تقسيم الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، إلى مناطق (أ) حيث الكثافة السكانية الفلسطينية، ومناطق (ب) حيث الكثافة أقلّ، ومناطق (ج) حيث الكثافة الأقلّ التي تتيح زرع المستوطنات هناك.

> **يتصارع في المنطقة محوران أحدهما يجهد لإنتاج بيئة تُطبّع مع الاحتلال**

بالمقارنة بين محطّتين، يلاحظ أنه بعد قرار التقسيم في العام 1947، كان حلّ الحركة الصهيونية للمشكلة التي يمثلها الوجود السكاني الفلسطيني يتمثل في سياسة المجازر المدروسة والهادفة إلى التهجير. أما في الظروف السياسية الحالية، فإن الحلّ الذي اقترحته «صفقة القرن» هو تحويل التجمعات الفلسطينية إلى غيتوات. لكن من الواضح أن ذلك جزء من سياسة تضييق تهدف إلى إفراغ هذه المناطق من سكانها، على أمل أن تتمكن الحركة الصهيونية، لاحقاً، من تحقيق طموحاتها على مستوى الضفة بأكملها. في المقابل، فإن إسقاط الصفقة مشروط بصمود الشعب الفلسطيني ومقاومته، كما هو تاريخه على الدوام. وبشكل موازٍ، يتصارع في المنطقة محوران، أحدهما يجهد لإنتاج بيئة تُطبّع مع الاحتلال، وتضغط على الشعب الفلسطيني للتسليم به. والثاني، يجهد لإسقاط هذه المحاولات، ولبلورة عمق استراتيجي يستند إليه الشعب الفلسطيني.

قضية

وكأنه لا تكفي بحر قطاع غزة، بل الذي يكاد يشكّل المتنفّس الوحيد للغزّيين في ظلّ الحصار الإسرائيلي المفروض عليهم منذ أكثر من 14 عاماً، مشكلة التلوّث، حتى تضاف إليها مشكلة «تآكل الشاطئ» التي تهدّد المساكن الملاصقة للبحر، في منطقة هي من الأعلى كثافة سكانية عالمياً. أسباب كثيرة تساقُ لهذه المشكلة، إلا أن أبرزها منع إسرائيل نقل الصخور الكبيرة اللازمة لصنع كواسر الموج من الضفة، وغياب التمويل للمشاريع الإنسانية والإنمائية بصورة عامة

شاطئ غزة المتآكل: المتنفّس الوحيد يخنقه الحصار

غزة ـ ريم رشيد

كجزء من حوض البحر المتوسط، وجراء التغيّر المناخي العالمي، ارتفع مستوى بحر قطاع غزة الضيّق المساحة، ليعمل ماؤه على تعرية الشاطئ ونحت رماله، في ظاهرة تُسمّى «تآكل الشاطئ». ظاهرةٌ تضاف إلى مشكلة أخرى خطيرة ومستمرّة، تتمثل في تلوّث غالبية مياه البحر الشاطئية بمياه الصرف الصحي التي تُضخّ من دون معالجة بسبب نقص الوقود والكهرباء اللازمَين لتشغيل المحطات المختصة. وتثير أزمة «تآكل الشاطئ» قلقاً إضافياً، ليس على البيئة البحرية فقط، بل على حياة السكان ومنازلهم، خاصة في المناطق المنخفضة والقريبة من الشاطئ، التي صارت مهدّدة بالانهيار والغرق جراء نحت الرمال التي تحميها. هذه الظاهرة تتركز في أربع مناطق هي الأكثر تضرّراً: السوادنية شمالاً، ومخيم الشاطئ غرب مدينة غزة، ودير البلح في الوسط، و«القرية السويدية» جنوباً. وتعود أسبابها، وفقاً للمختص في مجال البيئة أحمد حلس، إلى «الموانئ غير البيئية التي تُبنى في البحر، وتمنع تزويد الشاطئ بما يلزمه من رواسب، علماً أن لدينا في غزة تيّارات تسير عكس عقارب الساعة في البحر المتوسط، وتنقل رواسب ترفد شواطئ غزة ولبنان وفلسطين عامة بالطمي والأتربة والرمال... ما يمنع ذلك، الموانئ المبنيّة بشكل غير علمي مثل ميناء غزة، أو خان يونس الجاري إنشاؤه حالياً، أو الذي تبنيه مصر على حدود القطاع الجنوبية». بالنتيجة، يستمرّ الموج في نحت رمال اليابسة لمصلحة البحر، وهو ما يؤدي إلى «خلل في تركيبة الشاطئ يهدّد جيولوجية سطح التربة، وهذا يختلف من منطقة إلى أخرى، فالمناطق المنخفضة شمال القطاع والقريبة من الشاطئ تكون عرضة للغمر أكثر»، يقول حلس، مُسجّلاً اعتراضه أيضاً على هندسة الشوارع قرب الشاطئ، إذ أنها غير محميّة من الأمواج، ما يؤدي إلى تآكل الشارع وغرق الصيّادين المقامة عليها (50 غرفة على طول الساحل).

ينبه متخصصون إلى أن موانئ القطاع ولا سيما ميناء غزة مبنية بطريقة غير علمية (أ ف ب)

التلوّث مستمر ويتوسّع

تستمرّ أزمة التلوث في بحر غزة، بل وتسلك مساراً تصاعدياً بحسب ما تفيد به أحدث إحصائية لدى بلدية غزة، تشير إلى أن نسبة التلوّث في بحر القطاع وصلت إلى نحو 80%. ويقول مسؤول المختبر البيئي في «سلطة جودة البيئة»، عطية البرش، إنه بعد أخذ عيّنات من المياه وتحليلها في أيار/ مايو الماضي، تبيّن أن «أجزاء كبيرة من شاطئ القطاع باتت غير صالحة للسباحة بسبب التلوث الشديد»، مضيفاً: «يستقبل البحر يومياً ما يزيد عن 110 آلاف متر مكعب من المياه العادمة غير المعالجة من نقاط التصريف المنتشرة على طول القطاع».

إزاء ذلك، تحتجّ الجهات المسؤولة بنقص التمويل منذ عام 2007، لأن الدول المانحة تمتنع عن دعم مشاريع البنى التحتية وغيرها بحجة أن السلطة غير موجودة في غزة، وأن رام الله لا تملك قراراً في القطاع. إذ في أعقاب سيطرة «حماس» على غزة، خفّض المانحون تمويلهم للمشاريع الإنسانية والإنمائية بصورة كبيرة، أو وضعوا شروطاً صعبة لها. كما تسبّبت قوانين «مكافحة الإرهاب» في تقييد حيّز العمل لدى المنظمات الدولية (غير الحكومية) داخل القطاع. فضلاً عما تقدّم، تقول البلديات إن نسبة الجباية لديها لا تتعدّى في أحسن حالاتها 10%، فيما يعتبر حلس أنه «حتى في حال تَوفّر التمويل، فإن هذه المشاريع لا تُعدّ ذات أولوية لحكومة غزة» السابقة. وكان آخر مشروع تمّ تنفيذه في هذا المجال كَلّف 13 مليون دولار لاستجلاب الصخور من مدينة الخليل في الضفة المحتلة للعمل في مخيم الشاطئ، لكنه لم يكتمل بسبب وقف التمويل وجراء الخلافات السياسية. ومشكلة المخيم الممتدّ لـ1800 متر على الساحل أنه يعاني تآكلاً شديداً بسبب غياب كواسر الموج. ووفقاً لرئيس «لجنة الطوارئ في بلدية غزة»، المهندس عبد الرحيم أبو القمبز، فإنه إلى جانب كواسر الأمواج، لا بدّ من تطوير البنية التحتية للشوارع القريبة من البحر، وإنشاء جدران استنادية لحماية حرم الطريق. ويلفت أبو القمبز إلى «(أننا) نحتاج إلى صخور كبيرة باطون في كلّ المناطق التي يحدث فيها تآكل، في ما تصل تكلفته إلى مليون دولار»، مستدركاً بأن «الحلّ المستدام هو تطوير شارع الرشيد القريب من البحر بالسنة بحرية بواقع لسان كلّ 300 متر على الشاطئ، أي بناء الشاطئ مرة أخرى، وهو مشروع جاهز لدى وزارة الأشغال وعرضناه على الجهات المانحة بتكلفة 12 مليون دولار».

> تصنع إسرائيل نقل الصخور الكبيرة - من الضفة - اللازمة لصنع كواسر الموج

يؤكد الإشكالية نفسها وكيل وزارة الأشغال العامة، ناجي سرحان، الذي يقول: «أرسلنا مناشدات إلى المؤسسات الدولية، لكن لا استجابة حتى الآن، ولذلك نقوم بأعمال طارئة بالإمكانات محدودة... اشترينا بعض الكتل الخرسانية من مخلّفات المباني التي قصفها الاحتلال، ودعمنا فيها أجزاء من الشاطئ مؤقتاً». وإلى جانب أزمة المخيم، يتهدّد مصير مشابه «القرية السويدية» على الحدود الفلسطينية - المصرية، حيث يوجد نحو 130 منزلاً متناثراً على أطراف المخيم الذي تديره «الأونروا»، يخشى سكانها أن يهاجمهم البحر في المنخفضات المقبلة ويدمّر بيوتهم. وهم يتساءلون عن دور جهات رسمية أخرى غير الوكالة الدولية. هنا، يجيب المدير العام لقسم «حماية البيئة» في «سلطة جودة البيئة»، بهاء الأغا، بالقول إن دور سلطته رقابي، وإنهم سبق وتواصلوا مع الجهات المعنية لتحذيرها من الخطر على شاطئ «السويدية».

تتشارك البلدية المسؤولية عن ساحل المخيم مع وزارتَي الأشغال والحكم المحلي و«وكالة غوث وتشغيل اللاجئين» (الأونروا)، وكلّها تعاني نقصاً في التمويل. ويرتبط التآكل في «الشاطئ» بإنشاء ميناء غزة قريباً من المخيم، علماً أن مدرجاً يؤدي إلى شارع الرشيد انهار جراء منخفض جوي قبل أيام، الأمر الذي سبّب تآكلاً وانجرافاً في الشارع نفسه. يشير أبو القمبز إلى أن «البلدية تتدخل وقت الطوارئ حالياً... العام الماضي توجّهنا إلى الأونروا لحماية المقطع الأكثر تضرراً في مخيم الشاطئ، وحصلنا على تمويل صغير بقيمة ثلاثين ألف دولار لشراء مكعبات باطون وحماية نحو 150 إلى 200 متر كحل موقّت». ويضيف: «بالشراكة مع الجهات ذات العلاقة، أعددنا مشاريع إغاثية للعامين الجاري والمقبل هدفها وضع كتل يصل وزن الواحدة منها إلى 7 - 10 أطنان، وهي متوافرة في الضفة لكن الاحتلال يمنع جلبها».

أما عن السلطة، فإنها منذ ثلاث سنوات غائبة كلياً عن دعم المشروعات في غزة. وفي هذا الإطار، يقول الصحافي الاقتصادي، محمد أبو جياب، تعقيباً على ما نشره رئيس الوزراء، محمد اشتية، حول المشاريع في خطة حكومته، إن عناوينها «قوية لكنّ فيها خداع وتضليل إعلامي»، مضيفاً: «يتحدّث اشتية عن مشاريع سيبدأ تنفيذها في الضفة والقدس وغزة، عددها 153 ما بين بنى تحتية وتعليم وصحة، لكن بعد تفحّص الوثائق يتبيّن أن نصيب القطاع 11 فقط». ويتابع أبو جياب: «في مجال البنى التحتية هناك 65 مشروعاً، واحد منها فقط لغزة، وهو تأهيل شارع قصر العدل وسط القطاع، على رغم أن غزة على صعيد البنى التحتية منكوبة ومتهالكة باعتراف رام الله نفسها».

الولايات المتحدة

وزير العدل مستاءٌ من تغريدات رئيسه: فضّحت تدخلاً في عمل القضاء؟

تعيش واشنطن، منذ أيام، على وقع الأخذ والردّ بين ويليام بار ودونالد ترامب، وذلك على خلفية شجب بار لتغريدات الرئيس، والتي رأى أنها تجعل عمله كوزير للعدل «مستحيلاً». وإذا كانت تغريدات الرئيس، عموماً، تجعل عمل مساعديه ومختلف العاملين معه مستحيلاً وفق ما يرى البعض، إلا أنها في حالة بار خصوصاً ساهمت في تحمية نقاش كان محتدماً أصلاً، محوره اتهامات لوزير العدل بالتدخّل لدى القضاء من أجل تخفيف عقوبة روجر ستون، صديق ترامب، بناءً على طلب الأخير، وهو ما أثار مخاوف من تسييس التحقيقات والأحكام القضائية، وأدى إلى تنحّي أربعة مدّعين عامّين عن تلك القضية، في اعتراض واضح على ما يقولون إنها «تدخلات سياسية» في عملهم.

على هذه الخلفية، سعى بار إلى تهدئة الجدل العنيف الذي يهزّ واشنطن، عبر تأكيده، في مقابلة بُثّت أول من أمس، أنه لا يتلقى أوامر من أحد، وأسفه في الوقت ذاته للتغريدات التي ينشرها الرئيس. وقال بار، لشبكة «إيه بي سي نيوز» الإخبارية: «أنا سعيد لأنّ الرئيس لم يطلب مني أبداً التدخل بأيّ شكل من الأشكال في قضية جنائية». لكنه أضاف أن تغريدات الرئيس وتصريحاته «تجعل أدائي وظيفتي أمراً مستحيلاً». وتابع: «أعتقد بأنّ الوقت حان للتوقف عن التغريد بشأن القضايا الجنائية لوزارة العدل».

وأتت تصريحات بار بعد موافقته على الإدلاء بشهادته في الكونغرس، وسط مزاعم عن ارتكابه تجاوزات في وزارته بهدف توفير الدعم السياسي للرئيس، بحسب ما أفادت به لجنة العدل في مجلس النواب الأربعاء. وسيُدلي بار بشهادته أمام اللجنة في 31 آذار/ مارس، بعد رفضه ذلك على مدى عام كامل. وأرسلت «العدل» رسالة بهذا الخصوص إلى وزارة العدل لتأكيد ما تمّ التوافق عليه، مشيرة إلى نقض بار طلب مدّعين عامين في وزارته عقوبة قاسية بحق المستشار السياسي الجمهوري روجر ستون.

وكان ستون، الذي قدّم النصح لترامب قبل الحملة الانتخابية وخلالها، أُتهم في تشرين الثاني/ نوفمبر بالكذب على الكونغرس، والضغط على شهود في إطار التحقيق في التدخل الروسي في الانتخابات الأميركية التي جرت في عام 2016. وطلب المدّعون العامون الأربعة المكلّفون الملف حكماً بالسجن بين سبعة وتسعة أعوام على ستون، لكن وزارة العدل تدخّلت وطلبت عقوبة «أقلّ» باسم «مصالح قضائية»، في وقت نشر فيه ترامب تغريدة على «تويتر» دان فيها ما سمّاه «وضعاً غير عادل» و«خطأ قضائياً». وعلى رغم أنه نفى، الأربعاء الماضي، أن تكون تغريداته تدخلاً سياسياً، إلا أن المدّعين الأربعة، أرون زيلينسكي وجوناثان كرافيس وآدم جيد ومايكل مارانديو، الذين طلبوا الحكم، أعلنوا تنحّيهم عن قضية ستون، في مذكرة قدّموها إلى القاضي.

مع ذلك، أصرّ بار على نفي أن يكون قد تطرّق مع ترامب إلى قضية العقوبات على ستون، قائلاً إنه «فوجئ» بالتوصية التي أصدرها المدّعون العامون مطلع الأسبوع الجاري، وإنه كان يعتزم «تعديل وتوضيح» موقف الوزارة في اليوم التالي، عندما أطلق ترامب تغريدة له. وأضاف أنه «بمجرد أن نُشرت التغريدة، بات السؤال الآن ماذا أفعل؟ هل أمضي قدماً في ما أعتقد أنه القرار الصائب أم أتراجع بسبب تغريدة؟ وهذا يوضح نوعاً ما إلى أيّ درجة يمكن لهذه التغريدات أن تكون مزعجة». وردّاً على سؤال في شأن ما إذا كان مستعداً لمواجهة عواقب إطلاق تصريحات علنية ضدّ الرئيس، أجاب بار: «بالطبع»، متابعاً: «لن أخضع للتنمّر أو التأثر من قِبل أحد، سواء كان ذلك من الكونغرس أم من هيئات تحرير الصحف أم من الرئيس. سأفعل ما أعتقد أنه الصواب».

> تنحّى أربعة مدّعين عامّين عن قضية ستون اعتراضاً على «التدخلات السياسية»

وسرعان ما ردّ ترامب، أمس، على تصريحات وزير العدل، مؤكداً في تغريدة على «تويتر» أن من حقه التدخّل في ملفات قضائية، مستدركاً بأنه قرر ألا يفعل ذلك حتى الآن. وكان البيت الأبيض قد حرص على التأكيد أنه ليست هناك أيّ خلافات بين بار وترامب. وقالت المتحدثة باسم الرئاسة، ستيفاني غريشام، إن «الرئيس لم ينزعج إطلاقاً من هذه التعليقات، ومن حقّ بار مثل أيّ مواطن أميركي آخر أن يعبّر عن مواقفه علناً». وأضافت أن ترامب «يستخدم وسائل التواصل الاجتماعي بطريقة بالغة الفاعلية، ليكافح من أجل الأميركيين ضدّ الظلم في بلدنا»، جازمة أن الرئيس الأميركي يولي بار ثقته الكاملة «ليقوم بعمله ويفرض احترام القانون». في المقابل، دانت زعيمة الديمقراطيين في الكونغرس، نانسي بيلوسي، على الفور، ما اعتبرته «تدخلاً سياسياً» في ملف قضائي، وذهبت إلى حدّ توصيف ما حدث بأنه «استغلال للسلطة». ورأت أن قرار إدارة ترامب بشكل «فضيحة» و«يضرّ بدولة القانون».

(الأخبار، أ ف ب)

تدخّل بار المفترض لتخفيف حكم سنوات جاء بناءً على طلب من ترامب (أ ف ب)

إعلانات رسمية

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتجهيز خلايا توتر متوسط في معمل الأولي، موضوع استدراج العروض رقم ث4/9720 تاريخ 2019/9/16، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2020/3/20 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 200/ ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة افضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى امانة سر كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق «12» ـ المبنى المركزي.
بيروت في 12 شباط 2020
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 207

إعلان
تعلن كهرباء لبنان عن رغبتها في إجراء استدراج عروض لشراء كابلات حماية لخطوط النقل الهوائية.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ أمانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 50/ ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى أمانة كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق «12» ـ المبنى المركزي (غرفة 1223).
علماً إن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2020/3/13 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00.
بيروت في 12 شباط 2020
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالانابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 208

إعلان
تعلن كهرباء لبنان عن رغبتها في إجراء استدراج عروض لشراء قواطع توتر متوسط (Retrofit) وقطع غيار لها لزوم المحطات النقالة 66/20ـ15 ك.ف. من نوع ACEC.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ أمانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 50/ ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى أمانة كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق «12» ـ المبنى المركزي (غرفة 1223).
علماً إن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2020/3/20 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00.
بيروت في 7 شباط 2020
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالانابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 189

أنثروبولوجيا

إعادة اكتشاف دو بويس محرِّر «أرواح الأمّة السوداء»

عاد عالم الاجتماع الاميركي اخيراً في كتاب جديد يحوي الرسومات البيانية الملوّنة التي تصوّر حيوات السود في اميركا. الإحصاءات الدقيقة التي منحت الافارقة الاميركيين ارواحاً. عرضت في باريس مطلع القرن الماضي، في وقت كانت لا تزال فيه معارض البشر العرقية امراً شائعاً في اوروبا. يستعيد الكتاب تجربة سوسيولوجية رائدة، لرجل ظلّ يقشر طبقات النظرة البيضاء في اميركا والعالم، مقدّماً قراءة ماركسية لدور اليد العاملة السوداء في بناء النظام الراسمالي الاميركي الذي طرده نهائياً قبل سنوات من وفاته في غانا

نساء افرو-اميركيات (من الكتاب)

رسومات بيانية من الكتاب

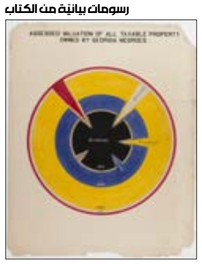

روان عز الدين

«أولئك الذين مشوا في العتمة، غنّوا أغنيات حزينة في الأيام الغابرة لأن قلوبهم كانت تعبة». صرخات العبيد المعاصرة حول العرقية والعنصريّة في أميركا والعالم. من خلال الأبحاث، والإحصاءات الدقيقة، وملاحظاته في أسفاره إلى الجنوب الأميركي، وعشرات الكتب الفكرية والأدبيّة، أعلن عالم الاجتماع الأفرو أميركي

> رافق مراحل السود التحوليّة في أميركا: الجنوب والعبودية، وفترة التحرّر وإعادة الإعمار ثم ظهور قانون جيم كرو، ونضالات الحركة المدنية في الستينيات

> أن مشكلة القرن العشرين هي مشكلة اللون أو الفصل العنصري. كان ذلك في بداية القرن العشرين. العرقيّة هي المِحْور الذي نظر منه إلى صراعات العالم حتى رحيله في الستينيات، حيث ظلّ حتى أيّامه الأخيرة يحرّر السود من النظرة البيضاء التي كانت تأسرهم وتطبع وعيهم بأكمله،

الذي يطبع وعيهم بهويّتهم: هويّة الأجداد، وتلك التي تشكّلت في أميركا. لا تزال أفكار المؤلف الذي جمع الفلسفة وعلم الاجتماع والأدب وعلم النفس حتى الآن تلهم الكتابات المعاصرة حول العرقية والعنصريّة في أميركا والعالم. من خلال الأبحاث، والإحصاءات الدقيقة، وملاحظاته في أسفاره إلى الجنوب الأميركي، وعشرات الكتب الفكرية والأدبيّة، أعلن عالم الاجتماع الأفرو أميركي

خصوصاً الفترة التي تلت نيلهم الحريّة.

قبل صدور «أرواح الأمّة السوداء» الذي يشار إليه دائماً لاختصار تجربته الطويلة، تفرّغ دو بويس إلى العمل الإحصائي الدقيق في المجتمعات السوداء في توجّه رائد وسبّاق في وقت كان يُنظر إليهم ككتلة واحدة. اللافت، بالإضافة إلى عمله على تبعات التحرّر والطريق المثقل إليه، هو مقاربته البصريّة لهذه المعلومات في رسومات بيانيّة غُرضت ضمن معرض عن أفارقة أميركا في باريس عام 1900. ومع صدور مواد المعرض أخيراً ضمن كتاب بعنوان «حياة السود 1900» (ريدستون بريس/ لندن)، نتمكّن من رؤية المقترحات البصريّة المكثّفة والمتنوّعة لونياً وشكلاً للمعلومات التي تظهّر تطوّر حالة المجتمع الأسود في أميركا لناحية التعليم، والأدب، والجريمة وملامح أخرى منها مقارنة الأمّة الأفريقية مع الشعوب الروسية والبلجيكية والسويدية.

يبدو الكتاب فرصة لقراءة تلك الفترة الانتقاليّة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، خصوصاً أن تأثيراتها لا تزال تظهر اليوم في عنصريّة النظام البوليسي الأميركي والسجون التي تطارد السود. ما منح المعرض أهمية مضاعفة، هو أن الرسومات والصور عُرضت في باريس حين كانت لا تزال حدائق أبناء البشرة السوداء، والمعارض العرقيّة من قبل المستعمرين أمراً شائعاً في أوروبا منها باريس التي تمكّنت من رؤية أمّة كانت مجهولة في العالم. نقل دو بويس صوت الأفارقة بحناجرهم لا بما كان يتمّ كتابته عنهم. فقد ضمّ المعرض أيضاً صوراً فوتوغرافيّة لأفارقة الجنوب، بعيداً عن الصورة النمطية لهم كأبناء درجة ثانية، فقد ظهر منهم الطلاب والعمال والأكاديميون والفنانون. تجربة طليعية تدفع بعض الأكاديميين اليوم إلى تأكيد أن اشتغال دو بويس المنهجي في دراساته الاجتماعية وإحصاءاته سبقت عمل إميل دوركهايم عن الانتحار. ففي كتابه الأول «زنجي فيلاديلفيا»، أجرى مسحاً شاملاً (مقابلات مع 2500 عائلة سوداء) للأزمات الاجتماعية التي يعانيها المجتمع الأسود هناك.

وتوصّل إلى أن مشكلة الزنوج ليست كما تبدو ظاهرياً، بل هي عبارة عن عدد من المشكلات الاجتماعية مثل الفقر والجريمة والأميّة وغيرها من الآفات التي ظهر تأثيرها في تعميق أزمة وجودهم.

رافق دو بويس مراحل السود التحوليّة في أميركا: الجنوب والعبودية، وفترة التحرر وإعادة الإعمار ثم ظهور قانون جيم كرو، ونضالات الحركة المدنية في الستينيات. كلّما خفت طيف العبوديّة، كانت أميركا تبتكره مجدّداً. ورغم أنه ولد في الشمال، لعائلة من العبيد المحرّرين، إلا أن البلاد كانت تذكّره دائماً بأنه كان زنجياً. لكن وعيه الحقيقي للسيستم الأبيض تكوّن حين اتّجه باكراً إلى التعليم في إحدى مدارس تبنيسي في الجنوب. هناك رأى أطياف العبوديّة، واطلع على حيواتهم عن قرب. فضلاً عن عمله الأكاديمي والفكري، كان دو بويس رمزاً أساسياً لنضالات حركة الحقوق المدنية التي جاءت بعده. ساهم سنة 1909 في تأسيس «الجمعية الوطنية للنهوض بالملونين» (NAACP) يسعيها إلى المطالبة بالمساواة السياسية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية بين جميع الأعراق في أميركا. كما تولّى تحرير صحيفة The Crisis الصادرة عن الجمعيّة، حيث عبّر عن أفكاره واقتراحاته لتطوير المجتمع الأسود، منها أفكاره التي اتُّهمت بالنخبويّة أحياناً. الرجل الذي كان أول أسود ينال شهادة الدكتوراه من «جامعة هارفرد»، وجد في التعلّم ونيل حق التصويت السبيل الوحيد لتحرّر السود، إذ توصّل في كتابه «أرواح الأمة السوداء» بأن نخبة من السود الموهوبين هي التي عليها أن تقود المجتمع الأسود. هذا ما خلق سجالاً طويلاً مع قائد أسود آخر هو بوكر. واشنطن الذي اقتصرت مطالباته على تعلّم المهن وتقوية اليد العاملة. دام هذا السجال طويلاً، وقسم المفكرين الأفارقة لسنوات. لكن دو بويس اشتدّ تمسّكاً بهذا التوجّه خصوصاً بعد إقامته لفترة طويلة في برلين. هناك قرأ أهم المفكرين الألمان من بينهم كارل ماركس الذي منحه نافذة ماركسية لقراءة حالة الأفارقة في العالم وفي أميركا تحديداً. لم يكتفِ فقط بنقده للداخل، بل كان متيقظاً إلى العرقية في العالم ومظاهرها الكثيرة، حيث كان أبرز الداعين إلى الوحدة الأفريقية وبعض حكوماتها. عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، قدّم قراءة مختلفة لأسبابها، لم تقتصر برأيه على أوروبا وصراعاتها الداخليّة بل بسبب الكولونيالية، وتحديداً صراع الأوروبيين على أفريقيا. في مقالة بعنوان «الجذور الأفريقية للحرب»، ربط بين الحرب العالمية والكولونيالية والرأسمالية الصناعيّة. وجّه نقده بالدرجة الأولى إلى الحركات المعادية للحرب، إذ لم يكن على دعوات السلام أن تكتفي بالقوانين والعقوبات على الحروب، بل بالتصدي لاستغلال المستعمرين للعمال المحليين. إلى جانب نقده للأيديولوجيا الأميركية التي استغلّت حوالى 20% من سكانها (أكثر من نصف مليون عبد)، رأى أن اليد العاملة السوداء هي التي وضعت الحجر الأساس للنظام الاقتصادي الرأسمالي في العصر الحديث. بكلمات أخرى، العبودية هي المؤسسة التاريخية التي تعرّف فيها العامل الأسود على النظام العالمي الحديث. دمغة لا يمكن محوها بسهولة، بل ظلّت حاضرة في المراحل التي تلتها، خصوصاً في التفرقة التي أجرتها السلطات الرأسمالية بين العمال السود والبيض التي كتب عنها دو بويس مقالات عدّة.

لم تكن أميركا مساحة آمنة يوماً لدو بويس، وربّما تطلّب الأمر وقتاً طويلاً لكي يصل إلى نتيجة كهذه. مع تضاعف خيبته من البلاد، راح يميل أكثر إلى الشيوعيّة، ويوقّع العرائض المعارضة للسلاح النووي الأميركي، كما زار الاتحاد السوفياتي والصين حيث التقى ماوتسي تونغ، وبعث رسالة انتساب إلى الحزب الشيوعي الأميركي في الخمسينيات، قبل أن تطرده أميركا نهائياً. في عزّ الهجمة المكارثية على المعارضين، مُنع من السفر مراراً، قبل أن يسمح له بالسفر إلى نيجيريا وغانا لحضور احتفالات الاستقلال، غير أنها كانت سفرته الأخيرة. أخيراً اتّخذت السلطات قرار منعه من العودة نهائياً إلى أميركا. عاش سنواته الأخيرة في غانا التي منحته الجنسيّة، وتوفي هناك لكن بعدما اطمأن إلى استمرار النضال، فأغمض عينيه في الليلة التي مشت فيها حركة الحقوق المدنية مسيرتها إلى واشنطن على وقع خطبة مارتن لوثر كينغ «لدي حلم».

بريد الجزائر

الفراشات تحترق... لكنّ الثورة مستمرّة

أنور رحماني *

مع بداية ثورة الابتسامة في الجزائر كتبت «جريدة الأخبار»، مقالاً مفعماً بالأمل لمستقبل بلدي بعد هذه الثورة، وكان العنوان «الفراشة تخرج من الشرنقة». كنت سعيداً جداً حينها، وأنا أرى شعبي للمرة الأولى يبهر العالم بتحضره ومطالبه الراقية وتقبّل الاختلاف الذي ساد فيه. لكن يبدو أنّ الفراشات لا تعيش طويلاً، بل لا تعيش سوى ليوم واحد، لتصطاد خفافيش الليل المظلم. أحلام شعبي وتطلعاته العادلة والمشروعة في بناء دولة ديمقراطية، دولة المساواة والعدل والقانون. أحلام لا يزال شعبي يخرج إلى الشوارع كلّ يوم من أجلها، بكلّ شرائحه ومشاربه الفكرية والسياسية والدينية. هذه التطلّعات التي ما زالت منذ سنة تمثّل هاجسه الأوّل، ولكن أسياد اللحظة يرفضون أن يعيدوا الدولة لشعبها، فهم يفضّلون أن تُباع البلاد في أسواق النخاسة على أن يروها حرّة كريمة بين البلدان. أرادوا قنص هذه اللحظة التاريخية التي أراد أن يمجّدها الشعب بكلّ ما أوتي من قوّة ومن صبر، أرادوا أن يخنقوا رقبة هذا الفينيق الذي بُعث مجدّداً من الرماد.

في 17 شباط (فبراير) 2020 سأحاكم في محكمة مدينتي شرشال بتهمة إهانة هيئة نظامية. لكي تتم إهانتي ككاتب، اختير لي كأدلّة مجموعة مناشير ساخرة ومزاجة مع أصدقائي محدودة الانتشار وبعض «الميمز» المنتشر كثيراً على مواقع التواصل الاجتماعي. لكنّ الحقيقة تخفي نفسها خلف الستار، مقالاتي، كتاباتي ورواياتي التي تمنع منذ سنوات في الجزائر، نشاطي في حراك الجزائر ودفاعي عن مختطفي التسعينات ونجاحي في إعادة إحياء قضيتهم، توصيفي لعملية قنص المواطنين العزّل في ولاية بويرة بالرصاص المطاطي مباشرة في الأعين بإرهاب الدولة، وكتابتي رسالة للرئيس غير الشرعي عبد المجيد تبون التي عبّرت له فيها عن عدم اعترافي به كرئيس، وعملي على تدويل قضية المعتقلين الجزائريين وتضامني مع الكاريكاتوريست الجزائري نيم... كلّها أسباب جعلتهم يحاولون معاقبتي عليها. بعد انتخابات رئاسية فاشلة لم يشارك فيها أي جزائري، قرّر الرئيس غير الشرعي تبّون ومن ورائه الأوليغارشية العسكرية الحاكمة وحاشيتها، منح العفو الرئاسي لأكثر من عشرة آلاف مجرم لم يكملوا عقوبتهم القانونية بالسجن لتعويضهم بعشرة آلاف آخرين من ناشطي الحراك الجزائري. خبث وشر لا حدود له، من نظام فاسد يسمي شعبه تارة بالعناصر وتارة بالشرذمة وفي غالب الأحيان بالشواذ كما فعل وزير داخليتهم.

إنّ الثورة الجزائرية الجديدة وبعدها ثورة لبنان والعراق هي ثورات حقيقية، جاءت لتنير درب شعوب خنقتها أنظمة وكيلة عن الاستعمار حالت دون تقدّمها. فلا شيء في هذه المنطقة يسمح لنا أن نكون دولاً متخلفة. نحن نملك الثروة، نملك الأرض والطبيعة، نملك المناخ والماء، ونملك الشباب. نحن نعيش في منطقة فيها كل أسباب التقدّم ولكنّنا نعود دائماً إلى الوراء، لأنّ هناك نظاماً عالمياً يسيطر علينا من خلال حكّام عملاء يعملون بكل جهد كي لا ترفع هذه الشعوب رأسها لإقناعنا أنّنا شعوب غير قابلة للحضارة. على هذه الشعوب أن تفهم أنّ منطقتنا هي منبع الحضارة الأوّل. في العراق كتب الإنسان أول مرّة وأسّس للقانون. في مصر بنيت الأهرام قبل آلاف سنين. في الجزائر كتبت أول رواية في التاريخ. نحن مهد الحضارات، والحضارة تسري في جيناتنا ودمنا الذي أهدروه. الأبجدية التي يكتب بها العالم فينيقية لبنانية. الأرقام أندلسية مغاربية. نحن من بنينا أوّل المدن، وأسسنا لأول العواصم في سوريا، نحن من كنا قرطاج في تونس، وطنجة، نحن الحضارة، وهذه الأنظمة السياسية دورها أن تكبح هذه الحضارة من البعث مجدّداً. ولذلك وأكثر من أيّ وقت مضى، على الشعوب أن تقاوم لتتحرّر، لتستعيد حضارتها التاريخية. ولأجل ذلك على الفراشات أن تحترق أحياناً لتعيش الفراشات الأخرى، وعلى الفراشات اليوم أن تستعير أجنحة فولاذية وأن تحلّق كالنسور في سماء الثورة والحريّة.

* روائي جزائري

ذكرى

المطران إيلاريون كبوجي رائد المقاومة القومية (*)

سركيس أبو زيد

في الذكرى الثالثة لغيابه، نستذكر المطران إيلاريون كبوجي علّنا نستخلص الدروس والعبر. بداية رغم نضاله المميّز وتضحياته الأسطورية، لم يُنصف المطران من الذين ناضل من أجلهم. كم نحن مُقصّرون بشرح مواقفه والقيم التي عمل من أجلها. لذلك أدعو إلى تشكيل هيئة قومية دائمة لتكريمه ونشر تجربته الرائدة للأجيال الشابة، فهو قدوة وبطل ورمز للاستنهاض.

عندما احتلّت «إسرائيل» الضفة الغربية في الخامس من حزيران 1967، وشاهد أمام عينيه الجثث والظلم، تحوّل مطران المحبة والسلام إلى ثائر ضدّ الاستبداد، فأسّس مطران القدس إيلاريون كبوجي أوّل خلية فدائية في المدينة المقدسة، جاعلاً من عبارته الكهنوتية درعاً لمقاومة سلطات الاحتلال، معتبراً أنه لا يستطيع أن يكون مُحايداً وهو يرى رعيته تتبدّد وشعبه يُقهر ويُقتل. فقرر مقاومتهم بكل ما أوتيَ من قدرة، وبشتى الوسائل، فسار على طريق المسيح الذي استعمل القوة لطرد لصوص الهيكل. وهو بهذا العمل، كان رائداً ومؤسّساً للمقاومة القومية العابرة للطوائف والمذاهب والأديان، وغير محصورة في كيان من كيانات سايكس – بيكو، فشارك في العمليات الفدائية التي ساهم في تنظيمها، أبطال من فلسطين وسورية ولبنان والأردن، من مسيحيين ومسلمين وعلمانيين.

اليوم، إذ نُشارك في تكريمه، نستذكر معاً نهج المقاومة القومية الذي جسّده.

فقد مَثّل المطران من خلال مسيرته مجموعة قيم، أبرزها «لاهوت المقاومة»، وهو مفهوم ونهج نضال سبق «لاهوت التحرير» والمواقف البابوية المتحررة من قيود التقليد والتحالف مع الاستبداد والسلطة. وقد تكرس هذا النهج بناء «وثقة حق» التي سجلها ممثلون عن الطوائف المسيحية في فلسطين ضد الاحتلال ومع شرعية المقاومة في عام 2009.

أعطى المطران كبوجي بنضاله من أجل المسألة الفلسطينية، بُعداً قومياً وإنسانياً:

● فقد كان المطران كبوجي رمزاً للحياة المشتركة، بقدر ما هو مطران مسيحي، فقد كان مسلماً لـ«رب العالمين» بالتقوى والتسامح، وكان مع حوار الحياة المسيحي – الإسلامي، ومع القضايا الإسلامية المحقة.

● كان عروبياً بكلّ ما للكلمة من معنى، ورغم كونه من مدينة حلب السورية، فقد كان يعتبر نفسه فلسطينياً بقدر ما كان سورياً ولبنانياً، وعروبياً بشكل عام. هكذا كان حاسماً في مسألة هويته المشرقية العربية، في زمنٍ ما زال البعض يُشكك بهويته لأرضه وشعبه.

كان يؤمن بالإنسان أولاً بغض النظر عن طائفته وملّته. كان رجلاً عملياً من خلال تجسيد كلامه إلى فعل، فخلق نهجه وطبقه على نفسه غير آبهٍ بما تعرض له من تعذيب في السجن والمنفى.

من خلال مواقفه، أكد المطران كبوجي أن حربنا مع «إسرائيل» هي حرب وجود لا حرب حدود، مهما ضاقت أو وسعت، لأنها صراع على الأرض، فهذه الأرض إما لنا وإما لهم. فكان المطران ضد التسويات والمساومات، وضد أيّ شكل من أشكال التنازل والمهادنة حتى لا تفقد القضية بعدها الجذري والاستراتيجي. ومن الدروس التي يجب أن نأخذها من خلال نضال المطران كبوجي أن القدس والدفاع عنها ضرورة، لما لها من رمزية دينية ووطنية، لكن علينا في الوقت نفسه أن لا ننسى فلسطين كل فلسطين، التي يتطلب الدفاع عنها تضامناً عربياً فنقدّه هذه الأيام. والتأكيد أن الدول العربية مرتبطة مصيرياً بالدفاع عن فلسطين. فقد أثبتت الأحداث أننا لا نستطيع استعادة فلسطين من دون نهضة عربية شاملة وجذرية ومستمرة، وكما لا نستطيع أن نحقق نهضة عربية بالتخلي عن فلسطين. لذلك فلسطين ما زالت مرتبطة عضوياً بقوة سورية خاصة والعالم العربي عامة، وبحرية المواطن العربي، لأن التحرر والحرية كلٌ لا يتجزأ.

هكذا كان المطران كبوجي، وعلى طريقه نسير من أجل تجديد العروبة، وتجديد مسيرتنا من أجل تحرير فلسطين، وتحرر المواطن في العالم العربي من قيود الاستبداد والتبعية والتخلف والجهل.

فقد جسد المطران كبوجي البعد القومي للمسألة الفلسطينية، لأن فلسطين هي جزءٌ من الذات السورية. فلا فلسطين يُمكن أن تتحرر من دون سورية. ولا سورية قادرة أن تُدير ظهرها لفلسطين، وترفع شعار سورية أولاً، لأنها عندئذ تفقد معناها ودورها وذاتها، في زمن نشهد فيه محاولة لتصفية المسألة الفلسطينية عبر «صفقة القرن» بجعل القدس عاصمة لـ«إسرائيل»، ورفض حق العودة وفرض التطبيع على العرب، في وقت نرى بعض العرب بدأ يُجاهر بالتحالف مع «إسرائيل»، بعدما فكرا ارتباطهم بالقضايا القومية المشتركة، لا سيما المسألة المركزية فلسطين، ما يُؤكد أن الصهيونية أصبحت ثلاثية الأبعاد: صهيونية يهودية، صهيونية مسيحية، وصهيونية عربية.

والصراع اليوم على سورية، وفي سورية هو صراع بسبب فلسطين أولاً. إنه صراع من أجل ضمان أمن «إسرائيل»، واستكمال سلب كامل أرض فلسطين، ما يستلزم إضعاف سورية وإلهاءها بمشاكلها الداخلية حتى تتمكّن الدولة اليهودية من فرض مشروعها وتوسيعه تدريجاً بالتهويد والاستيطان حيناً، والتوسع عندما تتاح الظروف والإمكانيات. بهذا المعنى الصراع في المنطقة هو صراع على وجودنا كهوية وحق ومصير، وهو ليس مجرد صراع على حدود الدولة اليهودية التي ترسمها موازين القوى والتسويات السياسية المرحلية.

وبهذا المعنى أيضاً، الحروب التي ناخضها الجمهورية العربية السورية لم تكن حروباً للدفاع عن فلسطين وحسب، بل عن ذاتها ووجودها. كما أن الحروب التي خيضت ضدها، وتُخاض اليوم عليها، ليس المقصود منها إخضاع سورية وتقسيمها أو احتواءها لذاتها، بل نصرة للمشروع الصهيوني الاستعماري الذي يستهدف حماية أمن «إسرائيل» ومصالح الرأسمالية الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأميركية، ومنع سورية من تحقيق ذاتها عبر تعطيل نهضتها، واستنزافها بفوضى وفتن وإغراقها في فراغ القوة، بالإضافة إلى منع أيّ تقارب في المشرق العربي، وإغراق دوله في حروب داخلية تقسيمية لتفكيك المجتمع ولمزيد من التجزئة، وكل ذلك بسبب وجود «إسرائيل» ومشروعها التوسعي الاستعماري على أرض واحدة يتنازع عليها مشروعان متناقضان وجودياً.

وهذا الواقع يفرض على سورية بالذات أن تُصارع من أجل ذاتها ووجودها، ومن أجل عودة الروح إلى العروبة الواقعية، ومن أجل إعادة بناء البيت العربي على أسس جديدة تُعيد الاعتبار إلى العروبة الحضارية كرابط جامع لأقاليمها. وهذا ما جسّده المطران كبوجي في مسيرته إنه سوري المولد، لبناني المنشأ، فلسطيني الكفاح، مشرقي عربي الهوية... إنّه شخصية قومية بفكره ونهجه، نحتاج إليها اليوم، للدفاع بصدق وإخلاص عن وجودنا، بإعادة تأسيس مقاومة قومية شاملة وجذرية عابرة لكيانات سايكس – بيكو، ومذاهب الطوائف، تُحقق تحرير الأرض وحرية الإنسان.

1- أُلقيت هذه الكلمة في مكتبة الأسد في دمشق، وذلك خلال الحفل التكريمي الذي نظمته دار دلمون الجديدة للمطران إيلاريون كبوجي، شارك فيه: الأب إلياس زحلاوي، د. حسن حمادة، النائب نبيل ملاح والكاتب الصحافي سركيس أبو زيد. مع كلمة مسجلة للمناضلة الفلسطينية ليلى خالد.

الأخبار
al-akhbar
السبت 15 شباط 2020 العدد 3981

صورة وخبر

وردة عيد الحب الجورية مستوردة. يسبق حلول الـ«فالنتين» تفتّح الورد الجوري في لبنان الذي يحين قطافه في شهر نيسان (أبريل) من كل عام. بلدة العدوسية (قضاء الزهراني ــ جنوباً) التي تعدّ من أبرز مراكز زراعة الورد، تعوّض تقصيرها تجاه العشّاق بتوفير «أكسسوارات البوكيه»، كما يصفها المزارع الياس منصور. يوفّر للوردة الحمراء الوحيدة، وصيفات من حولها تمنح باقة العشاق الفقراء، حجماً وغنى. أبرز الإضافات التي تزرع في العدوسية، هي زهور الـ«سوفيك» والـ green flower. (علي حشيشو)

لقاء في أنطلياس: لبنان إلى أين؟

اعتادت «الحركة الثقافية ـ انطلياس» تنظيم أنشطة منوّعة. وفي ضوء الأوضاع الصعبة التي تشهدها البلاد حالياً على الأصعدة كافة، تدعو الحركة، يوم الثلاثاء المقبل، إلى حضور لقاء بعنوان «لبنان: من أين؟». الموعد الذي يحتضنه دير مار الياس (أنطلياس ـ قضاء المتن)، يجري بمشاركة النائب الأوّل السابق لحاكم مصرف لبنان، رائد شرف الدين (الصورة)، على أن يتولّى الياس كسّاب (أمين النشر والمكتبة العامة) مهمّة الإدارة.

لقاء «لبنان: من أين؟»: الثلاثاء 18 شباط (فبراير) الحالي ـ الساعة السادسة والنصف مساءً ـ مقرّ «الحركة الثقافية» في دير مار الياس (انطلياس ـ قضاء المتن). للاستعلام: 04/404510 أو mca@mcaleb.org

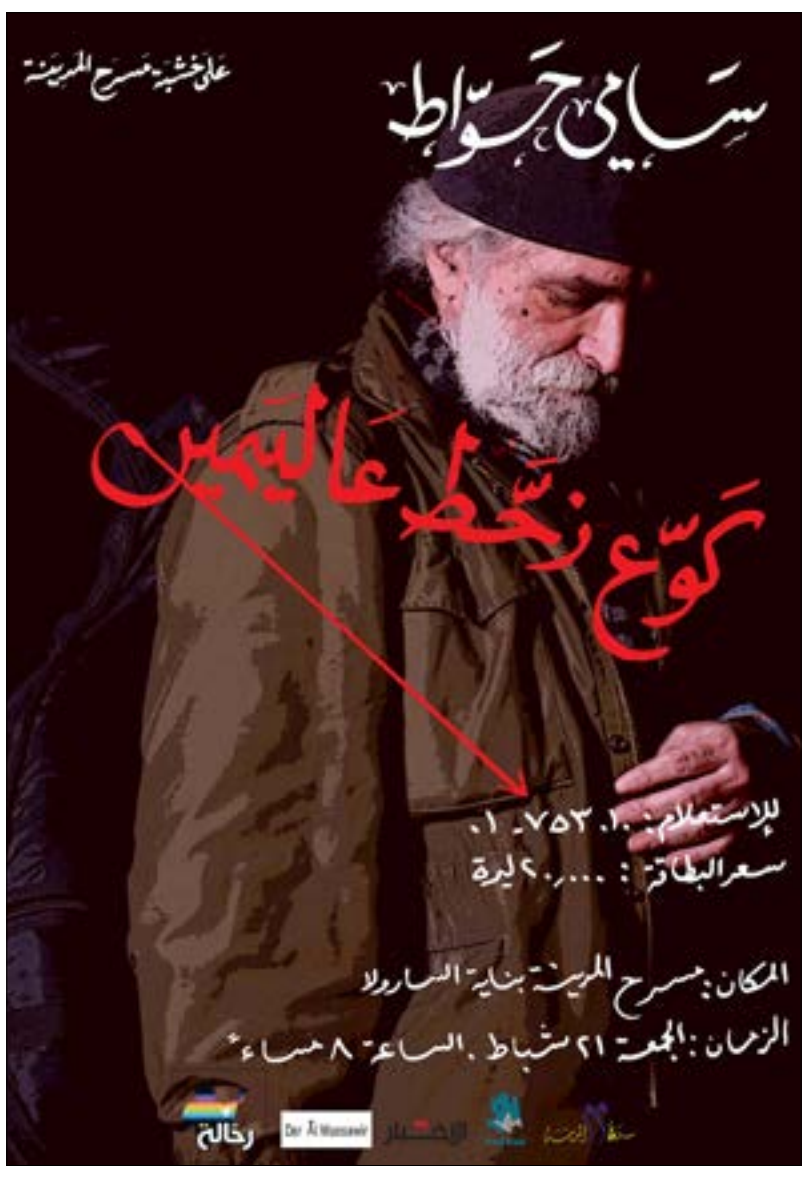

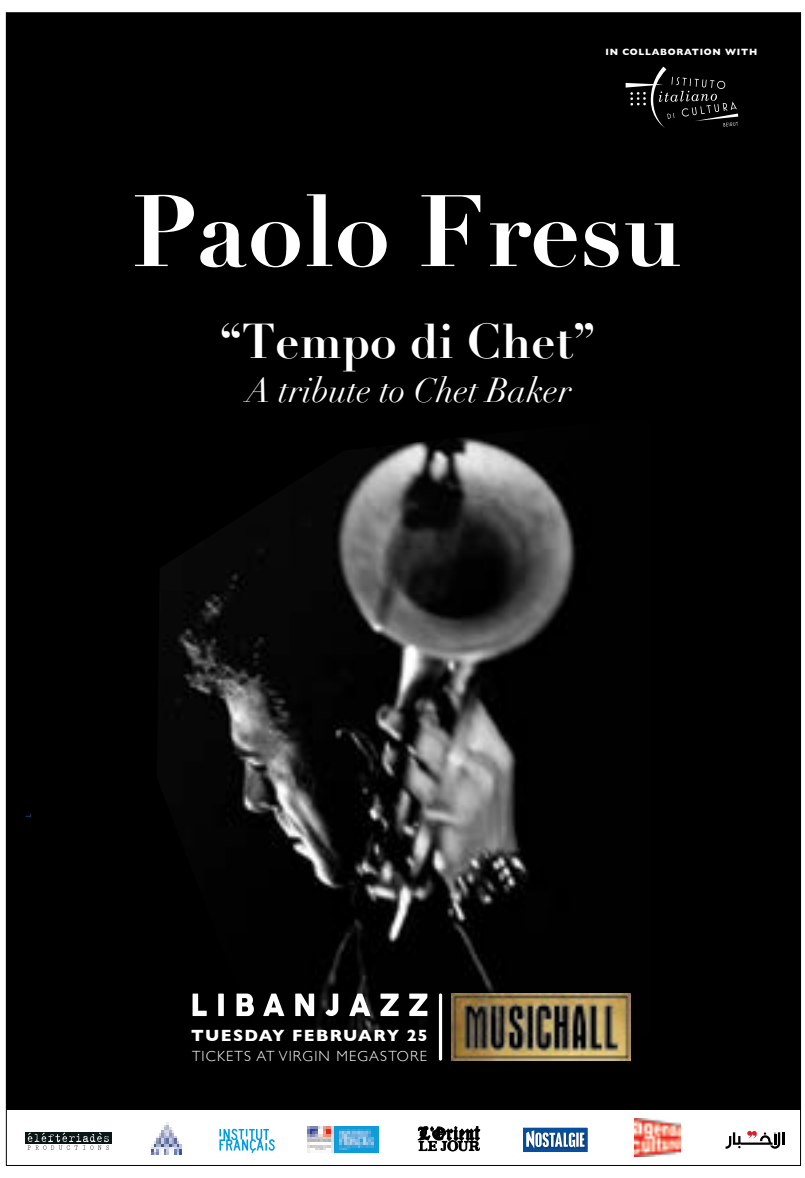

الأخبار al-akhbar

السبت 15 شباط 2020 العدد 3981
العدد 3981 السنة الرابعة عشرة
Samedi 15 Fevrier 2020 no 3981 14ème année

كلمات

ملحق أسبوعي

www.al-akhbar.com

نسخة فارسية مجهولة من «السندباد نامه» (حكاية الوزير عن الحلواني، وزوجته غير المخلصة والببغاء)

«ألف ليلة وليلة»
مدونتنا اللانهائية

رشيد وحتي

«ألف ليلة وليلة» مدونتنا الطويلة، اللانهائية، التي امتزجت فيها لهجاتنا الشفوية لتنصهر في نص مكتوب لا يتوقف نهائياً عن الاستزادة من بطون أرشيف المكتبات الشرقية والغربية. إنه نصّ النصوص الذي لن نمسك بتلابيبه أبداً، ففي كل مرة، يتم اكتشاف مخطوط مهمَل أو منسي هنا أو هناك... آخرها ما كشف عنه سعيد الغانمي، الباحث العراقي في تراثنا السردي القديم، من خلال تحقيقه مخطوط «مخاطبات الوزراء السبعة» الصادر أخيراً في طبعته الأولى عن «منشورات الجمل»، مُدَقّقاً بعنوان فرعي هو: «الترجمة العربية لكتاب «سندبادنَامَهْ» من أصول «ألف ليلة وليلة»».

في مقدمته لتحقيقه، يحرص الباحث على التأصيل لأول إشارة تاريخية تدلّ على اطلاع العرب على نص عربيّ لـ«سندبادنامه»، في القرن الثالث الهجري، من خلال الإخباري اليعقوبي في تاريخه، إذ يسميه «مكر النساء»، تليه إشارة المسعودي في «مروج الذهب»، تحت عنوان «الوزراء السبعة والمعلّم والغُلام وامرأة الملك»، فابن النديم في «الفهرست» في أكثر من موضع عند تخصيصه مادة عن «أعمال الهند في الأسمار»، وأبرز أنه مِنْ نسختين، كبيرة وصغيرة: «كتاب سندباد الكبير، وكتاب سندباد الصغير».

وعكس ما راج بأن الكتاب من أصول فارسية، يدافع الباحث عن فكرة أن الكتاب ولد في ظل بيئة مانويّة آراميّة، ثُمَّ نُقل إلى العربية قبل انتصاف القرن الثاني، أي قبل أن يترجمه الفرس تحت عنوان «سندبادنامه». تبقى الإشارة إلى أن هذا الجزء المكتشَف هو غير مغامرات السندباد التي كانَ يُظَنُّ أنها تلفيق من المترجِم الفرنسي أنطوان غالان، في حين أنهُ تم اكتشاف أنها، بدورها، جزء أصيل من النص العربي لـ«ألف ليلة وليلة». أما بخصوص معمار كتاب «مخاطبات الوزراء السبعة»، فهو يتألف من حكاية إطارية فريدة تَلَتْها حكايات فرعيّة، وردت على ألسنة وزراء الملك السبعة، تُشَكِّلُ ما سمّاه الباحث «النسخة المعيارية الصغرى»، مستخلَصَة من مخطوطتين من بين أربع مخطوطات اعتمد عليها في تحقيقه، وأضاف في نهاية الكتاب مُلحقاً يشمل عشر حكايات إضافية وردت في المخطوطات الأخرى، ولم ترد في مخطوطتي النسخة المعيارية الصغرى التي استند إليها.

ملف

أنجيلا ديفيس: أيقونة الثورة السوداء مع كل «فلسطينيّي» هذا العالم

لعلّه من سخريّة القدر أن تتحوّل المناضلة الأميركيّة السوداء أنجيلا ديفيس (1944) إلى أيقونة نضال أمضي على يد الـ FBI (مكتب التحقيقات الفيدرالي). تحديداً حين أضاف اسمها عام 1970 إلى قائمة أخطر المطلوبين للعدالة (الأميركيّة). ووضع صورتها على بوستر وزّع للعموم وعنون بـ «مسلّحة وخطرة». في تلك الأوقات، كان ذلك الوصف بمثابة دعوة صريحة لكي يتولّى أحد رجال الشرطة العنصريين إطلاق الرصاص عليها بدم بارد من دون أن يخشى المساءلة. وعندما اعتقلت بعدها بأيّام، لم يكن أقل من الرئيس ريتشارد نيكسون نفسه من تولّى الإعلان عن «القبض على الإرهابيّة شديدة الخطورة أنجيلا ديفيس». تحوّل البوستر العتيد بوابة شهرة معولمة للمناضلة المثقفة والصلبة والشجاعة. فكانت تتلقى في سجنها ما يعادل 400 رسالة تضامن يومياً طوال فترة توقيفها، ليس من المواطنين الأميركيين فحسب بل من جميع أرجاء العالم.

من وقتها لغاية اليوم حيث تبلغ السادسة والسبعين، تحوّلت صوتاً عالياً ورمزاً لكل مقاومة، تحضر دائماً حيث يجب أن تكون: مع كل فلسطيني هذا العالم على حد تعبيرها. في «شهر التاريخ الأسود» الذي يستعيد الأدوار المهمة التي لعبها الأميركيون السود في تشكيل تاريخ الولايات المتحدة، وتحتفي به الأخيرة في شهر شباط (فبراير) من كل عام، لنعد إلى مسار ديفيس الذي جمع بين النضال النظري - الأكاديميّ والعمل الثّوري على الأرض

سعيد محمد

«إنّ الطريق الوحيد لتحرّر الأميركيين السود يمرّ بإسقاط كليّ ونهائيّ للطبقة الرأسماليّة المهيمنة على هذا البلد» (أنجيلا ديفيس)

ولدت أنجيلا عام 1944 في مدينة بيرمينغهام في ولاية ألاباما الأميركية التي وصفها مارتن لوثر كينغ يوماً بأنها «أكثر مدن الولايات المتحدة انفصالاً بين البيض والسود». نشأت في حيّ عُرف بحيّ «الديناميت» لكثرة بيوت السود من الطبقة الوسطى التي نسفت في إطار حملة عنصريّة بغيضة لطردهم منه. في مذكراتها، رسمت أجواء تلك الفترة من تاريخ الجنوب الأميركيّ عندما كان ينبغي للأسود - وفق قوانين الفصل العنصريّ التي شرّعت بعد إنهاء العبوديّة رسمياً - أن يعرف مكانه في المجتمع ويقف حدّه، ويبقى في الأماكن المخصصة للملونين فقط في المحلات التجاريّة ووسائل النّقل العام.

كان والداها ناشطين في مجموعات معتدلة سياسياً تدعم توحّد البيض والسود معاً ضدّ الفصل العنصري، لكنها عبر مرافقة أمها في التظاهرات والحراكات، وتعرّضها للضرب أحياناً من قبل العنصريين البيض المتطرفين، والتهديدات المتكررة بالقتل التي تتلقاها العائلة، بدأت تكوّن رأياً مختلفاً يميل أكثر تجاه وضع النّضال ضد العنصريّة ومن أجل الحقوق المدنيّة في خانة السود ضد البيض. سمّعت أنجيلا بالشيوعيّين من خلال تعاون أمّها معهم في تنظيم الأنشطة أحياناً، ومن خلال الحملة المكارثيّة القذرة لاستئصالهم، لكنّها لم تطّلع على الفكر الماركسي إلا بعدما انتقلت بمنحة تفوّق إلى المدرسة الثانويّة الخاصة في غرينويش في نيويورك عندما تحدّث إليها مدرسوها (وجلّهم كانوا من المطرودين من التدريس في المدارس العامة لآرائهم السياسيّة) عن الفكرة الاشتراكية الأمميّة جزء من الدروس. هذا ما أثار فضولها ودفعها إلى قراءة المانيفستو الشيوعي (ماركس وإنجلز) الذي كان لها بمثابة برق «صعقة برق» غيّر تفكيرها بصورة جذريّة، ووجدت فيه إجابات وتفسيراً لكثير من المفارقات التي طالما شغلت عقلها الثائر الجميل.

سحرتها تحديداً صرخة «يا عمّال العالم، اتّحدوا»، وأصبحت قضيّة نضال الأميركيين السود في نظرها جزءاً من تلك الجبهة الأمميّة العريضة التي تواجه المنظومة الرأسماليّة الجشعة في كل مكان. وما لبثت أن التحقت بمنظمة ماركسيّة - لينينيّة للشباب، وشاركت من فورها في حصارهم لفرع متجر تفرقة كبير يحتلّ قلب الشارع 42 في نيويورك سعياً للضغط على إدارته بتعيين موظفين سود في فروعه جنوبيّ البلاد، كما في رحلات باصات «نشطاء الحريّة» التي كانت تنقل الناشطين لمساندة حراكات الحقوق المدنيّة للسّود في الجنوب، رغم أن قوات البوليس كانت تتغاضى عن اعتداءات متطرفي «الكوكلوكس كلان» عليها.

فيلم عن مسيرتها

أسندت شركة Lionsgate الأميركيّة للإنتاج السينمائي مهمّة إخراج فيلم يروي سيرة حياة البروفيسورة أنجيلا ديفيس للمخرجة الأميركيّة السوداء المعروفة جولي داش، من سيناريو للصحافي برايان تاكر فيما ستتولّى إنتاجه سيدرا سميت. ويتوقّع أن يكون الفيلم جاهزاً للعرض في النصف الثاني من عام 2020. داش كانت أوّل سيّدة سوداء في تاريخ السينما الأميركيّة التي تخرج فيلماً يعرض تجارياً (Daughters of the Dust – 1991) (متوافر على نتفليكس، وقد أعيد تقديم الفيلم بعد ترميمه في «مهرجان تورنتو السينمائي» عام 2016 احتفالاً بمرور ربع قرن على إطلاقه). وعلم أن البروفيسورة ديفيس تتعاون بالفعل مع فريق العمل في الفيلم في إطار سعيها لأن يتضمّن تغطية واسعة للنضالات الجماعيّة التي انخرطت بها من دون التركيز على صيغة البطل الاستثنائي التي عادة ما تغلب على أفلام السيرة الذاتيّة للمشاهير. وكانت المخرجة الأميركيّة شهلا لينش قدّمت في 2012 فيلماً وثائقيّاً عن قصّة وصول ديفيس إلى قائمة أخطر المطلوبين للعدالة الأميركية بداية السبعينيات من القرن الماضي بعنوان «أطلقوا أنجيلا وكافة السجناء السياسيين» وحصل وقتها على تنويه النّقاد.

شغلت شخصيّة البروفيسورة ديفيس كوبا والكوبيين طويلاً. فقد تحوّلت بوصفها مناضلة سيدة وسوداء وماركسيّة إلى أيقونة تحرر ثوري في الجزيرة الثائرة، وتكررت زياراتها لهافانا مع كوادر الحزب الشيوعي الأميركي والتقت القائد فيدل كاسترو، وكان لها دور محوريّ في تشكيل وعي النساء الكوبيّات وتوجيه نضالهن وتوحيد جبهاته، لا سيّما بعدما توجهت القيادة الكوبيّة نحو مأسسة الثّورة وأصبحت أكثر من تحدّث من قادة نضالات السود الأميركيين في نشاطات اتحاد المرأة الكوبيّة. ولما اعتقلتها السّلطات الأميركيّة بداية السبعينيات، انخرطت كوبا بكل ثقلها في الحملة الدوليّة لإطلاق سراحها وتحوّلت صورتها أيقونة تزيّن بوسترات الدّعاية الكوبيّة في كل أنحاء الجزيرة وخصصت لها صفحات كاملة في جريدة الحزب الشيوعيّ اليومية واحتُفل بها كبطلة بعدما زارت الجزيرة المحاصرة إثر إطلاق سراحها في 1972.

في عام 1969، بدأت دراستها الجامعيّة في فرنسا وسويسرا وألمانيا، ما منحها القدرة على تجاوز قفص التجربة الأميركيّة، والتحقت فور عودتها بتجمّع لطلبة اشتراكيين يكافحون ضد حرب فيتنام. لكن ذلك لم يشغلها عن تحصيل تعليم رفيع، فحصلت على الماجستير والدكتوراه في الفلسفة، والتحقت (1969) بدائرة الفلسفة في «جامعة كاليفورنيا» (لوس أنجليس). وهناك انتمت إلى «نادي تشي ـ لومومبا» الذي كان بمثابة جناح للسود في الحزب الشيوعيّ.

تحوّلت محاضراتها الجامعيّة إلى مشروع وعي ثوري متصاعد، ما أثار قلق السلطات الأميركيّة التي كانت تراقب ـ وما زالت ـ الجامعات عن كثب سعياً لإسكات كل سرديّة قد تتعارض مع مصالح نخبتها ذات النفس الإمبراطوري البغيض. ومن سوء حظ أنجيلا أن رونالد ريغان كان وقتها حاكماً للولاية، فاستهدفها بالتعاون مع إدارة الجامعة محاولاً طردها بداية بسبب عضويّتها في الحزب الشيوعيّ. لكن الطلاب تضامنوا معها. وبدلاً من عشرات يحضرون دروسها في العادة، تضاعف العدد إلى أكثر من 1500 طالب، حتى لم تعد هناك قاعة في الجامعة تتسع لهم. لكن ريغان الحاقد على الماركسيّة لم ييأس، ونجح لاحقاً في طردها من الجامعة بناء على وصفها القتلة من رجال الأمن الأميركيين بـ «الخنازير».

نقطة التّحول في صراع أنجيلا مع السلطة حدثت تالياً بعدما أقدم أحد حرّاس «سجن سوليداد» على تصفية ثلاث من قيادات «حركة الفهود السود» أو «بلاك بانثرز» التي تكوّنت في مرحلة الستينيات بعدما بدأ بعض الناشطين المتمركسين باليأس من إمكان التغيير بالوسائل السلميّة في ظلّ السلطة القائمة وفق تجربة حركة الحقوق المدنيّة، التي لم تحقق وقتها أي تغيير جذري في عنصريّة الدولة الأميركيّة ضد مواطنيها السود. كان الحارس قد أطلق الرصاص على الثلاثة بدم بارد وبشكل متعمّد أثناء أحد الاضطرابات المطلبيّة، لكن المحكمة أخلت سبيله من دون عقوبة، ليُعثر على جثته وقد تعرّض لضرب مبرّح تحت نافذة غرفة ضمّت ثلاثة من منسوبي الحركة، فوجّهت إليهم التّهمة من دون دليل. وقد حاولت الحركة تحريرهم عنوة لدى مثولهم أمام القاضي (1970)، لتنتهي المواجهة بتبادل للرصاص مع البوليس قضى فيها المهاجمون الثلاثة، بعدما قتلوا القاضي وأصابوا بعض الحاضرين. لكنّ التحقيقات كشفت لاحقاً عن دور أنجيلا في توفير السلاح الذي استخدمه المهاجمون، ما اضطرّها إلى الهرب. وقد أدينت غيابياً بتهمة محاولة الخطف بالعنف المسلّح، وبالقتل المتعمّد من الدرجة الأولى، وأصدر مكتب التحقيقات الفيدرالي مذكّرة لإعتقالها. وما لبثت أن أصبحت المطاردة الأولى على لائحة المجرمين الخطرين المطلوبين لعدالة العم سام (وربما قتلهم فوراً إذا تطلّب الأمر)، وعمّم البوستر الشهير عنها «مسلّحة وخطرة» في مختلف أنحاء الولايات المتحدة.

اعتُقلت أنجيلا بعد أيّام عدة، وهنّأ الرئيس ريتشارد نيكسون علناً رجال مكتب التحقيقات لـ

> جون لينون ويوكو أونو كتبا من أجلها أغنيّة «أنجيلا - ثمّة رياح لا تموت يا أختاه» ليترنّم بها ملايين الشبان والشابات

> أصبحت قضيّة نضال الأميركيين السود في نظرها جزءاً من الجبهة الأمميّة التي تواجه المنظومة الرأسماليّة في كل مكان

«قبضهم على الإرهابية شديدة الخطورة أنجيلا دايفس»، التي ألقيت في السجن الانفرادي لمنعها من «تلويث» عقول السجينات الجنائيّات بالأفكار الماركسيّة.

لقيت بروفيسورة الفلسفة السجينة تضامناً شعبياً واسعاً داخل الولايات المتحدة وفي أرجاء العالم، لا سيّما في أجواء غضب متزايد بين السود إثر اغتيال مارتن لوثر كينغ، وعزم السلطات على إنهاء حركة «الفهود السود» بالقوّة عبر قتل كل قاداتها ومنتسبيها واحداً واحداً أو تلفيق التهم لهم وإلقائهم في السجن بأحكام طويلة، حيث لا يزال بعضهم معتقلين. وقد عرض عدّة مشاهير دفع قيمة كفالة باهظة لإطلاق سراحها إلى حين محاكمتها، بينما تدافع نجوم الموسيقى العالمين للتغنّي بها ومنهم جون لينون ويوكو أونو اللذان كتبا من أجلها أغنيّة «أنجيلا - ثمّة رياح لا تموت يا أختاه» ليترنّم بها ملايين الشّبان والشّابات. ويبدو أن هذا الضغط أجبر هيئة المحلفين ـ البيضاء بالكامل ـ على عدم إدانتها بالخطف أو القتل رغم ثبوت علاقتها بالأسلحة على أرضيّة أن ذلك لا يعني بالضرورة المشاركة في هذا الهجوم بالتحديد.

أنجزت أنجيلا كتباً عدّة مذهلة أشهرها «النّساء والعرق والطبقة»، وسجّلت بدقة خبرة النساء السوداوات في النّضال ضد اضطهاد السلطات الأميركيّة، وجادلت في أهميّة مفهوم الطبقة ليست فقط كموضع لقمع النخبة الرأسماليّة الحاكمة بل كمصدر قوّة ودافع للتضامن والثورة. وهي كانت من أوائل المثقفين الماركسيين الذين بحثوا في ما يوصف الآن بالتضال ضد القهر المتعدد الجوانب في آن معاً، ما قد يفرز أشكالاً مبتكرة من مساحات المواجهة أيضاً.

تستمرّ أنجيلا باندفاع في الكتابة والنّضال بينما تقترب من نهاية العقد الثامن من العمر، وهي ناشطة في كل الحراكات المعادية للحروب في الغرب. دعمت مرشح اليسار البريطاني جيريمي كوربن في رسالة مفتوحة عندما كان قريباً من تولّي منصب رئيس وزراء المملكة المتحدة، فيما تركّز أيامها حالياً على تصحيح مسألة تطبيق العدالة وتنفيذ القانون في الولايات المتحدة التي ما زالت فضاء تغلب عليه العنصريّة ضد الشبان السود. وقد منحتها تجربتها في الحزب الشّيوعي القدرة على استكشاف مسألة العنصريّة العرقيّة في إطار أوسع، وبناء فهم متقدّم لديناميكيّات الاضطهاد الذي يمارسه النّظام الأميركيّ من خلال قراءة ارتباطه بالصراع الطبقي والمنظومة الرأسماليّة، لتكرّس نفسها لأجل قضيّة مواجهة وإسقاط الطبقة الفاسدة التي طالما وظفت أشكالاً متفاوتة من العنصريّة ضدّ كل آخر مختلف، يعتبرها كثيرون اليوم أنموذجاً عملياً لتقاطع النظريّة بالممارسة الثوريّة، وأيقونة ساطعة للنّضال بكل جبهاته: السود، والنّساء، والطبقة العاملة، وضحايا الإمبرياليّة الأميركيّة في كل مكان. تجرّات ديفيس على الربط بين نضالات الأقليّة السوداء في أميركا وتلك التي يخوضها الفلسطينيون ضدّ سلطات الاحتلال الإسرائيليّة، لتجعل منهم شركاء في معركة واحدة، فكأننا «كلنا فلسطينيون في مواجهة ذات العدوّ على جبهات عدّة»، وقد تسبب دعمها اللامحدود للفلسطينيين ولقضيتهم ولجهود مقاطعة الدّولة العبريّة، في عداء اللوبي الصهيوني العالمي لها. لقد نجح هؤلاء عبر ضغوط منسّقة، في دفع «معهد الحقوق المدنيّة» في مسقط رأسها بيرمنغهام للتراجع عن قراره بمنحها «جائزة فريد شاتلوورث لحقوق الإنسان» لعام 2019، قبل أن يعتذر عن ذلك ويعيد الجائزة إليها مرّة أخرى إثر الغضب الشعبي الكبير والانتقادات الواسعة التي تعرّض لها المعهد. لم تكن السّلطات القصيرة النظر في المدينة لتدرك أن ابنة مدينتهم، هذه الأنجيلا ديفيس، السيّدة العجوز ذات العينين المتوقدتين بالثورة والغضب، كانت أيقونة الثورة السوداء في كل مكان، وأنّها ذات الأنجيلا التي من أجلها كُتبت الأغنيات.

أقصوصات

أهل الكتاب الأحمر (*)

سفيان رجب

بوك كلي. «أسطورة الزهور» (عائلة على مواد مختلفة. 1918)

1- العائلة البيضاء

خرج أوّل إنسان أبيض من بيته، حاملاً سيفه، وذهب إلى العالم، فذبح الإنسان الأحمر والإنسان الأسود والإنسان الأصفر والإنسان الأسمر، وحين عاد إلى أهله، قال لهم: - الغريب أنّ لون دمهم مثل لون دمنا. فقالوا كلهم: - هذا افتراء. إمّا أن تكون كاذباً، أو أن تكون مصاباً بعمى الألوان. ثمّ أرسلوا إنساناً أبيض ثانياً، فخرج حاملاً سيفه، وذهب إلى القارات الخمس، فذبح الإنسان الأحمر والإنسان الأسود والإنسان الأصفر والإنسان الأسمر، وعاد إلى عائلته البيضاء، فقال لهم: - كما قال الإنسان الأبيض الأول. دمهم أحمر. - هذا غير معقول. ثمّ خرج الإنسان الأبيض الثالث بسيفه، ثمّ خرج الإنسان الأبيض رقم ثلاثمائة مليون، وحين عاد إلى عائلته البيضاء العريقة، قال لها: - الإنسان الأسود والإنسان الأصفر والإنسان الأسمر دمهم أحمر، وهذا مؤكّد. ثمّ فرش أمامها راياتهم البيضاء وعليها دمهم. - والإنسان الأحمر؟ - لا يوجد كائن اسمه الإنسان الأحمر.

2- سمكة تركب درّاجة

ذات يوم، نهضت الناشطة الحقوقية والمفكّرة الأميركية غلوريا شتايم، والقت خطاباً أمام نساء العالم، فقالت جملتها الشهيرة: - المرأة من دون الرّجل كالسمكة دون درّاجة. منذ ذلك اليوم، قرّرت النساء الابتعاد عن الرّجال، وقلن كلهنّ بكلمة واحدة: - نحن لا نحتاج إلى الرّجال. بعد قرن واحد من مقاطعة النساء للرّجال، انقرض النّسل البشري. أثناء ذلك، خرجت سمكة من البحر الأبيض المتوسّط، وركبت درّاجتها في نزهة قصيرة في قرية سيدي بوسعيد التونسية، لكن للأسف لم يكن هناك إنسان واحد على قيد الحياة، ليصدّق ما حدث.

3- سارق الأصابع

قال القاضي للمتّهم: - لمَ سرقتَ السّيد الذي تعمل في حديقته؟ أجاب المتّهم: - كنت أبحث في جيب معطفه عن أصابعي التي سرقها مني منذ اليوم الأول الذي دخلت فيه إلى حديقته.

4- ساق أمّي خضراء

جاء إلى المطعم الذي أعمل فيه، طلب طبقاً من الخضر المطبوخة على البخار، كان شاباً وسيماً ومرحاً، وتظهر على وجهه ملامح ريفيّ حزين، طلّق قريته بالثلاث، وهبط إلى هذه المدينة الساحلية ذات الدّم البارد. عاد مرات كثيرة إلى المطعم الذي أعمل فيه. صرنا صديقين. سألني عن حياتي، فقلت له مازحاً: - حياتي معقّدة مثل طبق اللازانيا. ضحك، وقال: - أنا حياتي بسيطة وحزينة مثل طبق الخضر المطبوخة على البخار، حين كنت طفلاً في الرابعة من عمري، فقدت أمّي، ماتت في حادث مرعب، كانت في شاحنة تقلّ العاملات من قريتنا إلى الحقول البعيدة، حين دهسهنّ القطار، ومزّق أجسادهنّ كما يمزّق الجزّار لحم الخرفان. عادت إلينا أمي في كيس، وجدوا رأسها مقطوعاً، فألصقّوا إليه أطرافاً أخرى، وقالوا: - هذه جثّة أمّكم. بكى أبي وأخوتي، أمّا أنا فبقيت أجسّ ساقيها، وقلت لهم ببراءة طفل في الرابعة من عمره: هذه ليست ساق أمّي. كانت ساق أمي خضراء، تنبت فيها شجرة من عروق خضر، منذ ذلك اليوم كنت كلّما زرت مقبرة قريتنا، أبكي على قبور كلّ النساء اللواتي متن في الحادث مع أمّي. كانت قصّته حقاً حزينة، لكنه ابتسم لي، وغادر المطعم ذلك اليوم دون أن يأكل شيئاً. ثمّ عاد بعد أيّام، ومعه عجوز أوروبيّة تبدو في العقد السابع من عمرها. قال: - هذه حبيبتي غلوريا من السويد. ضحكت في سرّي، وقلت: مسكين، دفن شبابه في جسد عجوز، لأجل الفيزا اللعينة. كنت أراقبهما من نافذة مطبخي، وأضحك من انسجامهما المثير للاستغراب. حين حملت إليهما طلبهما: طبقيْ خضر مطبوخة على البخار وكأسي عصير، وانحنيت لأضعهما أمامهما، رأيت ساق غلوريا العجيبة، والتي تخرج منها شجرة من العروق الخضر، لحظتها تحوّلت الضحكة الساخرة داخلي إلى دمعة خضراء كبيرة، حاولت إخفاءها، لكنها سقطت في طبق صديقي.

5- ملخّص الصراعات البشرية

جاؤوا إلى إنسان أسير، فكّوا قيد يده، وربطوا عقله.

6- قتلة السهروردي

هرب السهروردي من دمشق إلى مدينتنا، بعد أن سمع أنّ صلاح الدين الأيوبي أمر بقتله. جاء بجبّته الخضراء المرقّعة، وكيس المخطوطات الحمراء الذي كان يحمله على كتفه الهزيلة، فعبر الأمكنة والأزمنة ولجأ إلى إحدى الزّوايا في مدينتنا. ظنّه النّاس مجنوناً، لكن حين راوه يقرأ مخطوطاته قالوا هذا شيخ علم هرب من الحرب في سوريا، فأخذوا له طعاماً وملبساً، لكنه اعتذر عن قبولها، وحتى يؤكد لهم أنّه لا يحتاج مساعدتهم، أخرج من جيبه لؤلؤة تساوي ثروة وحطمها أمامهم. فقالوا إنّ الرّجل عرّاف جاء ليخرج الكنوز من مدينتنا، وتسلّلوا إليه ليلاً كالمراصير، حاملين خرائط كاذبة لكنوز لا وجود لها إلّا في خرافاتهم. حاول السّهروردي إقناعهم بزيف ما يدّعون، لكنهم أزعجوه، وشوّشوا لحظات صفائه وتأمّله في ملكوت اللّه، وخرّبوا شرنقة عزلته بتطفّلهم. فلم يجد من حلّ سوى أن يحرق مخطوطاته أمامهم، ويذري رمادها في الرّيح، فقالوا إنّ الرّجل أخطر ممّا نتصوّر، فما هو إلا جاسوس خطير، فقال لهم: - هل تملكون أسلحة ممنوعة دوليًا لأتجسّس عليكم؟ قالوا: - إذن أنت لصّ متخفّ في جبّة شيخ. قال: - وهل عندكم أثمن من اللؤلؤة التي حطّمتها، ومن المخطوطات التي أحرقتها؟ قالوا له: - من أنت إذن؟ - أنا السّهروردي. لحظتها أصبح كلّ واحد منهم «الظاهر الأيوبي»، أسروه، وعادوا به من الأمكنة والأزمنة التي عبرها، وفي الطريق قالوا له: - هل عرفت من نحن؟ قال: - أنتم الجوع والعطش والهذيان والأشياء التي اخترتهما لموتي. قالوا: - قل أشهد أن لا إله إلّا اللّه، وسنكون لك شراباً وطعاماً. قال: - لا أهضم من ينطق بكلمة نور، وقلبه يشير إلى الظلمة. نظروا إلى السهروردي، فلم يجدوا غير جبّته الخضراء المرقّعة، تعجّبوا، وقالوا: - هل كنّا نحاور جبّة السهروردي؟. ثمّ سألوا الجبّة: - أين الجسد الذي كان فيك؟. فقالت: - وماذا كنتم تأكلون طوال رحلتكم إلى الماضي؟

7- حفنة قش لحصان طروادة

حين أدخل سكّان طروادة الحصان الخشبيّ العظيم الذي تركه الجيش الإغريقي على باب مدينتهم، وكانوا مبتهجين بانتهاء الحصار الإغريقي لمدينتهم. كان الصبيّ ريتسوس يمدّ حفنة قش للحصّان الخشبيّ العظيم، حتى بعدما خرج من جوفه الجنود الإغريقيون ليلاً، وفتحوا أبواب طروادة لزملائهم المختبئين خلف الهضاب المحيطة بالمدينة. وحتى حين أحرق الإغريق طروادة، وسبوا نساءها واستعبدوا رجالها، ظلّ الصبيّ ريتسوس يأتي كلّ يوم من بيته الفقير، ويقدّم حفنة قش للحصان الخشبيّ العظيم.

8- رحلة جمل بروطة

نزل جملٌ من الجنوب التونسيّ إلى العاصمة، وفي طريقه مرّ بصديق قديم له في القيروان، كان يشتغل في برّوطة، اقترح عليه أن يشربا كأسيْ شاي معاً، قال جمل برّوطة لصديقه: - كيف أدركتني في هذا المكان النائي من العالم؟ - لكنّ القيروان ليست بعيدة عن الجنوب التونسي. - أمازلت تتذكر القيروان؟ ودمعت عينا جمل بروطة حين ذكر اسم القيروان، وقال لصديقه جمل الجنوب: - أتتذكّر اليوم الذي التقينا فيه في القيروان ونحن صغيران، ثمّ فرّقتنا الأيام. أنا من يومها سافرت على صوت المياه إلى أماكن لا تخطر على بال جمل في هذا العالم، رغم أنني كنت أسافر مغمض العينين. في رحلتي، مررت بواحات زرقاء تحيطها بحيرات ساحرة تسبح فيها بجعات ذهبية، ومررت فوق جسور عالية حيث تمرّ من تحتها أنهار عظيمة، ومررت بشلالات نازلة من السماء يخال لمن يعبرها أنه غيمة، وفي رحلتي نبتت لي أجنحة بيضاء، وحلّقت بها بين الغيوم، وكنت أرى بلادنا الأولى الصحراء الكبرى مجرّد وسادة بنية ملقاة على سرير الأرض...

ظلّ جمل برّوطة يتحدّث بحماس عن رحلته المائيّة العجيبة بين الأرض والسماء، وصديقه جمل الجنوب يصغي إليه بإحساس معجون من شغف وحزن، لم يشأ أن يقول له أنّ رحلته الطويلة تلك على صوت المياه لم تكن سوى ملايين من الدورات حول مكان واحد. ورغم حزنه على حال صديقه جمل برّوطة، فإنه غبطه على وهمه العظيم.

9- المخطوط الأحمر الغامض

لا أحد يدخل من قرية النائحة الأولى إلى قرية النائحة الثانية، ولا أحد يدخل من الثانية إلى الأولى. تستطيع القول بلغة السياسيين أنّ العلاقات الدبلوماسية منقطعة بين القريتين، رغم أنّ جذور القريتين مشتركة، وسكانهما تناسلوا من الحيوانات المنوية التي قذفها نوح في رحم زوجته الكافرة. فقط يوجد رجل اسمه كعب الأحبار، له قدرة على التحوّل من إنسان إلى حشرة، يتسلّل من قرية النائحة الثانية إلى الأولى في هيئة يعسوب أو في هيئة دبّور أو نحلة أو فراشة، فيملأ رأسه بالقصص، ويعود إلى قريته ليتجشّأها على مسامعهم.

في إحدى المرات، رأى كعب مخطوطاً له غلاف أحمر، في مكتبة كبير الأحبار، كلما قرأه بكى وضحك في وقت واحد. استغرب كعب من أمر المخطوط، وحاول أن يقرأه وهو متقمص دور حشرة تحط على كتف كبير الأحبار، لكن الحبر كان يبعده عنه بمروحة الريش التي كان يضعها قربه. أخيراً، اهتدى إلى حيلة أوصلته بسبر إلى المخطوط دون أن يلحظه كبير الأحبار، فتقمّص دور أرضة، وتسلل إلى صفحات المخطوط الأحمر، وقرأه في ليلة واحدة. بعد ذلك، أصبح كعب الأحبار يحكي لأهل قريته قصصاً غامضة، وكان أثناء حكيه يبكي ويضحك في وقت واحد، والناس حوله يستغربون من تصرفاته الغريبة هذه، ورغم ذلك فهم لا يفوّتون قصّة واحدة من قصصه التي لا يفهمون منها شيئاً، ثمّ إنهم أصبحوا يبكون ويضحكون مع كعب الأحبار، دون أن يفهموا لم يفعلون ذلك.

(*) مقتطفات من كتاب قصصي بالعنوان نفسه، صدر أخيراً عن «زينب للنشر والتوزيع»، تونس

قصائد

تسع صور من فولاذ

جمال المعتصم بالله *

1- الخيمة

عمّا قليل، يحدثُ ما يُساعدُ على الغِناء:
الأبيضُ الشخصيّ مثلاً،
أو الرائحة الحجرية للجراحة،
أو أشغالٌ جسديةٌ أُخرى قديمةٌ وضروريةٌ للغناء.
أغنية الخيمة مُمتلئةٌ.
تُمطرُ لساعاتٍ ثمّ تمضي إلى بلادٍ أُخرى.
أُغنية الخيمة غابويّةٌ،
هشّةٌ قليلاً،
مُغلقةٌ مثل نافذةٍ بعيدةٍ، وتعبُرُها،
أحياناً،
كمنّجاتٍ قديمةٌ.

2- مرة أخرى

انظري مرّةً أخرى:
إنّها صورتي من فولاذ.
صورتي الأخيرة. خرجتُ منها مرّتين.
انظري:
الإطارُ بطيءٌ والخلفيةُ نافذةٌ داخليةٌ.
إنّها صورتي:
زراعيةٌ.
الملابسُ من ذهبٍ قديمٍ
وعظامُ الأرق نظيفةٌ ومُناسِبةٌ للمنفى.

3- قصة قصيرة

تضعين حجارة الصمت خارج الحبكة.
وتضعين الياس في غُلبته الزرقاء.
تضعين منازل الشتاء جانباً وتزمين بما تبقّى من الوداعات بعيداً. تأخذين مُعظم أشياء أخرى في الحقيبة اليدوية ثمّ تدخُلين.
الآن صار لطائر الوجود اسمٌ جديد، وصارت لإعصابك ضحكاتٌ جيّدةٌ. إنّها قصّةٌ ولها فضلٌ كثيرٌ علينا. تدخلين إليها من بابٍ واحدٍ فلا تراكِ. تدخلين فتملئين القصّة بالازدهارات والأشغال، وبكثيرٍ من الرسائل والبلدان.
إنها قصّةٌ ولها فضلٌ كثيرٌ علينا.

4- اغنية الشمس

إنها شمسٌ بلديةٌ من كندا، ولها الصّفات ذاتها التي لأغنيات الجاز. تتظاهرُ بما يتظاهرُ به النبيذ وتضحك. تقتربُ مني ومن بعض المسافاتِ وتبتعدُ. تُساعدني على الشوارعِ وتنهاني عن الموتِ في كندا.

5- الثالثة صباحاً

إنها بيضاء. تشبهُ السعادة وتختلف عنها.

Günther Förg ــ «بدون عنوان» (زيت على قماش، 1991)

شجوني فيها
وأنتِ
والكتبُ التي أتيت بها من مراكش.
أنا أكتبُ الثالثة صباحاً لكي أراكِ.
وأكتبها لأنها مستطيلةٌ وبيضاء.
ولسوف ترين كيف أنها بلادٌ أخرى
وكيف أنها لا تتظاهرُ بالسهر.

6 - السفر

شكراً لآلام المطاراتِ شكراً لها. لا يحدثُ التصويرُ إلّا ملء صورتِها، ولا يحدثُ الخيال إلّا فيها.
سوف نُحبّها أكثر وسوف نُحسن الظنّ بها. سنُجزلُ التجريد على سياقاتِها وعلى كلّ حقائبها.
شكراً لها.

7- الغابة

أحياناً، ما بعد الولادة، لا شيء يحدثُ، لا السؤال ولا الغابات ولا الأبيض.
أحياناً، ما بعد الولادة، حتّى الحياة لا تحدثُ.

8- مسرّاتٌ

أُوهِمني، أحياناً، بما قلّ ودلّ من السرور، فأتمنّى أن يفكر بي وطني قليلاً . أن تغسلني اللغة العربيّة من الصمت . أن تُعلّمني الفلسفة كيف أموت وكيف أسهرُ . أن تقتلني امرأةٌ بضحكتها . أن يقترح عليّ الحائط نافذةً أو، لِمَ لا، نافذتين.

9 - السهرة واحدةٌ

خُذي صمتي كاملاً. خذي سهرتي وكلّ أفكار الكتاب. خذي صوتي الوطنيّ وكلّ فراشات الأعصاب.
أحبّك. بيني وبينك العالم وسهرة العالم.
أحبّك. بيني وبينك سهراتٌ سيّدةٌ سوف تأخذها العظامُ معها إلى الشّعر.

* المغرب/ كندا

نصوص

زرقاء كتفاحة

المعتصم خلف *

لا أعرف ما الذي مرّ به الناي قبل الآن، ولكن يبدو من صوته أنهُ انتظر كثيراً، وكذلك المسافة بين شجرة يابسة وأخرى خضراء. لا أعرف ما الذي حدث بينهما ولكن يبدو للوهلة الأولى أنها قصة حب حزينة.. لا أعرف شيئاً عن أول رجل يائس في هذا العالم، ولكن يبدو من شكل وجهي الآن أنهُ لم يغنّ طويلاً.

■■■

ولا أعرف أحداً من فقراء سان بطرسبورغ الذين عاشوا في عام 1845، ولكن من كتابة دوستويفسكي يبدو واضحاً أنهم كانوا طيبين جداً..

■■■

لا أعرف في أي أحياء دمشق دفن الشاعر وضاح اليمن، ولكن يبدو من قلوب العشاق هناك أنهُ في كل مكان تقريباً..

■■■

ولا أحد يعرف من اكتشف الوقفات الاحتجاجية في وطننا، ولكن يبدو بحسب نشرات الأخبار اليوم أنه كان مهزوماً جداً..

■■■

في مكتبة قديمة اشتريت كتاباً يقول إن الحياة سوف تنتهي بعد يومين، فيه إهداء بخطّ أزرق سيئ يقول ساحبك حتى في اليوم الثالث.

* سوريا

شنّاك دسيّلات ــ «التفاحة الزرقاء» (زيت على قماش، 2018)

سيرة

أمين معلوف يرى عالمنا بعين... المستشرق!

يعتبر أنّ عبد الناصر «أحد حفاري قبر المشرق الذي كنت أحبّ»

عبد الرحمن جاسم

منذ غلاف الكتاب الذي يزدان بلوحة فنية تظهر سفينة تغرق، مع عنوان «غرق الحضارات» والإصرار على إخبارنا نحن القراء بأن أمين معلوف هو عضو في «الأكاديمية الفرنسية» (انتخب عضواً فيها عام 2011 وجلس في المقعد الذي كان يشغله كلود ليفي شتراوس) تبدأ تلك الرحلة الخاصة في الكتاب الذي صدر بدايةً عن «دار غراسيه» في باريس عام 2019، قبل أن ينتقل أخيراً إلى لغة الضاد عبر «دار الفارابي» (ترجمة نهلة بيضون).

إنه كتاب سيرةٍ سوداوي ومتناقضٌ في آنٍ. يحاول معلوف استشراف المستقبل من خلال قراءته للماضي الذي شهد معظمه، محاولاً قدر الإمكان أن يكون «عادلاً» بحسب وجهة نظره. «من موطني انتشر الظلام إلى العالم» هي إحدى جمل الكتاب، وربما واحدة من الجمل التي تعرّف» الكتاب وتقدّمه للقارئ الذي يحاول الغوص في تجربة الكاتب التي يفردها في هذا العمل. هو كاتبٌ مجرّب لا شكّ، إذ إنه كان في إيران إبان حدوث الثورة الإسلامية، وفيتنام إبان حربها التحريرية ضد الولايات المتحدة، ومصر إبان عصر عبد الناصر، ولبنان إبان الحرب الأهلية. وهو أيضاً مثقف، بأبحاثه التي أسهب في تقديمها للقارئ العربي والغربي على غرار «الحروب الصليبية كما رآها العرب» أو «الهويات القاتلة»، ناهيك برواياته كـ «صخرة طانيوس» (جائزة غونكور 1993). يضاف إلى ذلك قيمته المقدّرة أوروبياً. لكن مشكلة معلوف الكبرى شأنه شأن أي باحث يبتعد عن مكان المشكلة، ومكانه، شخصياً، بداخلها، ويقترب من «الأكاديمية» و«التقنية» في التحليل أنه يفقد ذلك الرابط: مثلاً يحلّل نظام الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر المسؤولية الرئيسية في «تشكيل» التصوّر لما نحن عليه «كعرب»، فهو «اكتسب ثقة الشعوب العربية» برفعه شعار الوحدة العربية، وهذا أمرٌ جيد. لكنه - أي عبد الناصر - كان جاهلاً وغير واعٍ لمشاكل الشعوب وتحديات تلك المرحلة سياسياً وعسكرياً. ينطلق معلوف من وجهة نظر أكاديمية - أوروبية - غربية بحت: هو يرى بأن ناصر قد دمّر الاقتصاد المصري، وحارب الأقليات، وهُزم في نكسة الـ 1967 التي اعتبرها نهاية العالم العربي بشكلٍ أو بآخر، وبأنها جرحٌ لم يندمل منذ ذلك الحين. الغريب أنه في اللحظة نفسها، يشير إلى أن «عبد الناصر آخر عمالقة العالم العربي، وآخر فرصة سانحة لنهوضه من كبوته»، ويصفه بالرجل العظيم، وبأن حكمه «عليه متباين جداً ولا يزال»، لكنه «أحد حفّاري قبر المشرق الذي كنت أحب». تلك النظرة التي تسود الكتاب قاطبةً هي واحدة من سماته: إنه يرى عالمنا الذي يريد إصلاحه بعين المستشرق، الذي بات يعيب على أبناء جلدته مشاكلهم بقرفٍ شديد!

ينقسم الكتاب إلى مقدمةٍ وخاتمةٍ، وأربعة فصول ذات عناوين مأساوية: «فردوس يحترق، شعوبٌ تائهة»، سنة الانقلاب الكبير، عالم متفكّك، وكعادة النصوص الأدبية المنمّقة، يورد أبياتاً شعرية ونصوصاً أدبية «أبوكالبتية/ فنائية» قبل كل فصل في محاولةٍ لخلق البوابة المناسبة للدخول فيه. إنه كالباحث بشكلٍ مطلق عن أمور من شأنها إشعاره بأننا كحضارة فانون، غارقون، ولن يبقى منا «من سيخبر بأننا كنا هنا يوماً ما». ينطلق إلى «الفردوس المحترق»، مشيراً إلى أنّه لم «أعرف المشرق في أوج عظمته، فقد جئت بعد فوات الأوان، ولم يبقَ من المسرح سوى ديكور متهالك، ولم يبقَ من الوليمة سوى الفتات». ينطلق معلوف ليحكي ما يشبه سيرةً ذاتية عن ولادته لعائلةٍ متوسطة إلى ثرية تعيش في مصر (عند عائلة والدته) لكن لا بدّ له من تزيين تلك الحكايا باغتيالات ودماء وما شابه. هكذا، يحكي أن لحظة ولادته شهدت اغتيال حسن البنا (المؤسّس لجماعة الإخوان المسلمين) ليختم أول قسم من الفصل بالإشارة إلى وفاة جدّه أمين «ولا ريب أنها كانت نعمة له أن يرحل عن هذا العالم قبل أن يشهد انهيار كلّ ما سعى لتحقيقه في حياته». بعد تغيير النظام وثورة الضباط الأحرار في مصر، ينتقل معلوف وعائلته إلى لبنان حيث يعيش تأثير تلك الثورة على العالم العربي. في الفصل الثاني «شعوب تائهة»، يشير إلى أنه كان متعلّقاً بحضارة أجداده، لكنه مضطرٌ في خريف حياته لأن ينعتها بكلمات مثل «شقاء وأسى وضياع وكارثة وتقهقر وغرق وهلاك». لا حلول أمام الكاتب نهائياً. يتحدّث مثلاً كيف أن الباب العالي (يقصد السلطنة العثمانية) كان يعطي الأوامر، واليوم بعد فناء الباب العالي، أصبحت هناك أبواب عالية أخرى تأتي منها الأوامر: موسكو، واشنطن، وباريس وسواها. يحاول معلوف في هذا الفصل دس السم في العسل: يورد حكاية اليهود السيكاريين، مشيراً إلى أن «الجميع يعلم بحادثة ماسادا»؛ والماسادا لمن لا يعلم هي «أسطورةٌ» صنعها الصهاينة ليحكوا كيف أن مجموعةً من اليهود رفضت أن تذعن للرومان، فقُتلت كلّهم. وكان أكثر من مؤرخ إسرائيلي جديد (كإيلان بابيه) كذّبوا هذه القصّة، وأشاروا إلى أنّ لا مصدر حقيقياً لها. ينتقل بعد ذلك للحديث عن الصدمة الأبرز بحسب تعبيره: «النكسة» التعبير الذي استخدمه جمال عبد الناصر نفسه بعد هزيمة عام 67، ويعني «الكبوة» و«الإخفاق المؤقت». هنا يشمّر معلوف عن ساعديه، ويغرس أنيابه ومخالبه. «الثقافية» في الأمة العربية، وعبد الناصر، بكلّ ما أوتي من قوة. «المريض المذكور لم يبرأ، ولم يتمكن العرب قط من الثأر لما أصابهم، كما لم يتمكنوا من تجاوز صدمة الهزيمة»؛ مؤكداً «لم يكن (يقصد عبد الناصر) شخصية أبوية، لكنني شعرت بنفسي حينذاك يتيماً. وأعتقد أن الشعوب تعيش ساعات الضياع واليأس على هذا النحو». ولأن النص أمامنا هو «نص» سيرة، فإنه يفتن بشخصية كمال ناصر (الناطق الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، اغتالته قوة من الموساد في بيروت عام 1973 برفقة زميليه كمال عدوان وأبو يوسف النجار). فتنة معلوف بناصر، مرتبطة بأن ناصر كان «غريباً» حسبما يحب معلوف: يتقن الإنكليزية، خريج الجامعة الأميركية، عاش في باريس لردح من الزمن؛ متجاهلاً أن ناصر لم يكن «غريباً» أبداً: كان مقاوماً على طريقته، ترك النيابة في المجلس النيابي الأردني، ومال عائلته، وفضّل الحياة مقاوماً وانتهى شهيداً فداءً لأفكاره.

الفصل الثالث وهو «سنة الانقلاب الكبير» يقاربه معلوف من الزاوية نفسها: يبدأ من 1967، عام النكسة، ثم يتبعه بهجومه المباشر على الثورة الإسلامية في إيران التي يصفها بالراديكالية المدمرة: «لا يجب أن يجعلنا نغفل عن الراديكالية المدمرة التي انتشرت في العالم الإسلامي انطلاقاً من النموذج الإيراني، وزعزعت جميع أشكال السلطة القائمة». وينطلق بعدها إلى فصل رابع هو «عالمٌ متفكك» حيث يحكي عن افتتانه بالرؤية الأوروبية، نسبة لجورج أورويل صاحب رواية «1984» الاستشرافية. يرى معلوف العالم متفكّكاً لأنه بلا قائد، بلا دفة يقودها أحد. هو يحاول في لحظة ما أن يجد منفذاً أو منفساً لكل ما يحدث، يحاول أن يضع بعض نقاط مشرقة قد تحدث لو أن البشرية فعلت كذا أو كذا. على الرغم من أنّ الكتاب هو سيرةٌ ذاتية، لكنها ظلت سيرة ذاتية لمغترب، لا يريد أن يرى بلاده إلا بعينيه المتغرّبة: مثلاً تجنّب الحديث عن المقاومات العربية بشكلها الحديث وخصوصاً تجربة «حزب الله»، كما لو أنّها لم تكن. وإذا كان قد أشار إليها في سطر أو سطرين، إلا أنّه تجنّب الحديث عن صمودها وانتصاراتها، كما لو أنّها لم تحدث ولم تكن. تجاهلها كليةً لأن وجودها في مكانٍ ما يجعل الصورة «القاتمة» التي يريد إظهارها أقل قتامةً وسوداوية.

قصة

درّيّة فرحات... شهرزاد الحكايا المعاصرة

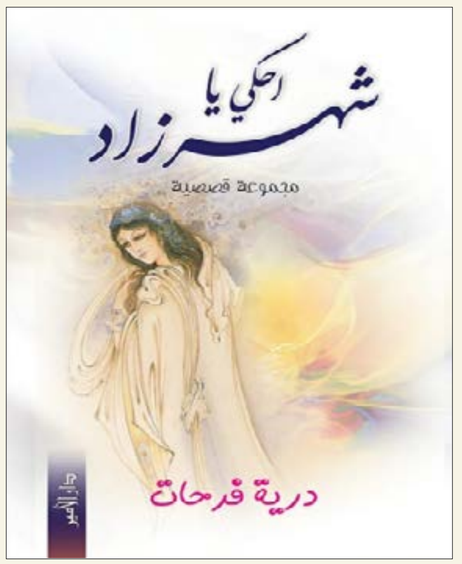

المجتمع، ممثّلاً بوسائل إعلامه، لا يهتمّ بالمرأة المثقفة العاملة الناجحة

عبد المجيد زراقط

«احكي، ياشهرزاد» (دار الأمير) مجموعة قصص قصيرة لدرّيّة فرحات تتضمّن أربع مجموعات قصصية عناوينها: حكايات شهرزادية، وطنيات شهرزادية، شهرزاديات، شهرزاد والحياة.

شهرزاد، كما يبدو، هي المكوّن المشترك والأساس لهذه العناوين. وشهرزاد، كما هو معروف، هي المرأة التي وظّفت الحكاية في ترويض الملك شهريار. الرجل المستبد القاتل للفتيات اللواتي كان يتزوّج الواحدة منهن لليلة واحدة، ثم يقتلها في الصباح انتقاماً من النساء، لأن امرأته خانته مع عبده، فكانه يريد قتل المرأة التي لم يستطع امتلاكها وحده. استطاعت شهرزاد أن توظّف الحكاية، بما توفّره متلقّيها من متعة أدبية ومعرفة يشوّقون إليها، في تحويل شهريار إلى مثقفٍ متذوّقٍ للأدب راغب في المزيد مما يقدمه من متعة ومعرفة، وطالب لامتلاك المزيد من الفاعلية الجمالية الدلالية.

وإذ تطلب فرحات من شهرزاد المعاصرة أن تحكي حكايات حياتها ووطنها، وأن ترقى بها إلى مستوى إنساني، في كلّ وقت، وطوال مراحل عمرها، كما جاء على صفحة غلاف المجموعة الأخيرة، فإنها بذلك تطلب منها أن تحكي ما يُسهم في إحداث التحوُّل المجتمعي الذي يتيح للمرأة المعاصرة أن تغدو حياتها ملك يديها، فتعيشها كما تريد. وفي الوقت نفسه، تطلب منها أن تحكي ما يمتلك الفاعلية الجمالية الدلالية القادرة على التأثير والتحويل.

إن كانت شهرزاد في ذلك الزمان، «تسكت عن الكلام المباح عند الصباح»، فإن شهرزاد هذا الزمان لا تسكت، فزمان هذه الأيام هو زمانها، وعليها أن تقول فيه ما تريد.

فماذا تقول شهرزاد هذا الزمان؟ وما هو الخطاب النسوي الذي تنطق به قصصها؟

في القصة الأولى «تعويض»، يبدو أن المجتمع، ممثّلاً بوسائل إعلامه، لا يهتم بالمرأة المثقفة العاملة الناجحة، بوصفها مثالاً يمكن للفتيات أن يحتذين به، وإنما يهتمّ لسببين: أولهما أن تكون فاتنة، وثانيهما أن تقوم بعمل غريب كان تطلب تعويضاً عمّا ألحقت بها الأحداث من ضرر تمثّل بفقدها رجل لا يشترط أن تكون كلمته هي العليا» (ص.18). وتسعى لاكتساب خبرات جديدة في عملها، ولا تركن إلى ما صارت إليه، وإنما تعمل على أن تحقّق الأفضل على الدوام (ص.29). وتريد أن تقود حياتها هي كما تريد، لا كما يريد الآخرون، كما تريد أن تعيش حياتها كما تحب هي لا كما يحب الآخرون (ص.35و 50). وإن كان زوجها يحول دون ذلك، فإن الجنة تتمثل، في هذه الحال، في غيابه. ففي قصة «الغائب»، يغيب الزوج الذي لا يعرف إلا إعطاء الأوامر، ويريد من زوجته أن تتفرغ لتنفيذها وتترك عملها من أجل ذلك، ويخيّرها بين العمل وجنته هو، ويعود ليعرف قرارها، فتقول عيناها عندما تريانه: «عشقت جنة غيابك، ما أجمل ألا تعود! فهل عرفت قراري؟» (ص. 53). هذا القرار هو صوت التمرّد على وضع ترفضه، ويُراد له أن يكون قدرها، وهذا الصوت يسكنها، فيتهادى من داخلها، ويهمس لها، يدعوها إلى إعلان التمرد (ص.113). كما نقرأ في قصة «صوت» القصيرة جداً التي تلتقط صوت حالة تعيشها امرأة ترى وضعها في مجتمعها وترفضه.

تحكي شهرزاد المعاصرة، وتقول حكاياتها: إنها تريد ألا تختزل إلى أنثى، وأن تكون عضواً في المجتمع كامل الحقوق، تتعلم وتعمل، وتواصل امتلاك الخبرات، وتتجاوز مابعوّق سعيها لتحقيق ذاتها، فتكون الخيبات صدى من الماضي. تريد أن تحيا حياتها كما تحب وتريد، في جنة يغيب عنها شهريار الذي لا يعرف إلا الأوامر وتفرّغ امرأته لتلبيتها...

وهي، إذ تفعل ذلك، تكون «كالغصن الرَّطب، تميل إلى كلّ جانب مع الرِّياح، ولكنها لا تنكسر في العاصفة»، وهذا القول لزواتلي وتصدّر به قصص «حكايات شهرزاد» بسعيها هذا تحقّق تحرُّرها، وهو في الوقت نفسه تحرُّر الوطن، وهذا هو قول نوال السعداوي الذي تصدّر به قصص «وطنيات شهرزاد». وإن كان من شكوى مفادها أن أفق المرأة محدود، فذلك يعود إلى حبسها في المطبخ أو المخدع، فكيف لها أن تحلّق وقد قُصّ جناحاها، كما تقول سيمون دو بوفوار. وهذا قول تصدّر به قصص «شهرزاديات»، لهذا فإنّ المهمة الوطنية الأساس تتمثّل في الحيلولة دون ذبول عقل المرأة، لأنّ ذبوله يعني ذبول عقل الأمة، وهذا هو قول توفيق الحكيم الذي تصدّر به قصص «شهرزاد والحياة».

تصدّر شهرزاد كلّ مجموعة بقول يمثل الخطاب النسوي، كما رأينا، فتشكّل فضاء الرؤية الذي يصدر عنه القصّ، أو تشكّل المنظور القصصي الذي تدرك به عالمها، والذي تمثّل به هذا الإدراك بنية قصصية.

لا تقتصر الرؤية في هذه القصص، على القضية النسوية وعلاقة المرأة بالرجل، وإنما ترى قضايا أخرى منها: استحواذ وسائل التواصل الاجتماعي على اهتمامات إنسان هذا العصر إلى درجة أن تنسيه حياته الخاصة، ومنها القضية الوطنية وقضايا إنسانية، كالهجرة، والأبوة والأمومة، والعدوان والفرح بالخصب، والفساد ومعاناة الفقر والزيف...

القضايا كثيرة تتمثل في بنى قصصية قصيرة وقصيرة جداً. يلاحظ، في القصص القصيرة، التقاط لحظة مهمة من الحياة، وتمثيلها في شريط قصصي قصير ينطق برؤية كاشفة. ففي قصة «تعويض» على سبيل المثال، يلتقط الراوي العليم في الحاضر، لحظة اهتمام وسائل الإعلام بامرأة، ويشوّق إلى معرفة سبب هذا الاهتمام. هل هو اسمها الذي يشبه اسم تلك الفاتنة المشهورة؟ هل هو شخصيتها العاملة المثقفة؟ يتوقّف القص في الحاضر، ويسترجع الراوي تفاصيل تفاهمها ورجل يقدّرها واتفاقهما على الزواج، لكنه لم يأتِ في الموعد المحدّد بسبب «الأحداث»، فتتقدّم بطلب تعويض وتسوّغ طلبها، فيتم الاهتمام بها. ولا يكفّ جرس هاتفها وبيتها عن «رنّ..رنّ..رنّ...». وهذا الرنين المشكّل فضاء القص هو ما تبدأ به القصة، ما يدل على ما يهتم به المجتمع، فاللحظة المهمة التي تم التقاطها وتمثيلها بنية قصصية قصيرة مثلت دالاً على المجتمع واهتماماته. تشكلت هذه البنية من حدث واحد غير متشعّب وشخصيات قليلة وزمن قصير تداخل فيه الحاضر والماضي البعيد والقريب، فاستخدمت تقنيةُ الاسترجاع، ومكان محدّد، وحوار موظف في تنمية القص وتشكيل الشخصيات وأداء الخطاب، ولغة سهلة، معجمها مألوف، وتركيب عباراتها بسيط. ولا تخلو هذه اللغة من بلاغة، كما نلاحظ لدى تشبيه صف الكلمات بسطر النمل (ص.21).

صفات هذه البنية القصصية نلحظها في بنى القصص الأخرى، كما في قصة «الكومبيوتر والحب»، في مثال آخر. يلتقط الراوي العليم في هذه القصة، لحظة مهمة من حياة شاب تتنقل نظراته على شاشة الحاسوب... ثم يرى إلى جانبه، في صحيفة، ما يحفّز ذاكرته، فتسترجع مشاهد فتاة الشرفة التي أُعجب بها، لكنه شُغل عنها بالحاسوب، فتزوجت، وها هو يرى صورتها في حفل زفافها... هذه اللحظة من الحياة يتكرر التقاطها في قصة قصيرة جداً من قصص هذه المجموعة عنوانها «تكنولوجيا» وفيها تتمثل ثنائية حب العلم # حب المرأة.

القصتان تلتقطان الحدث نفسه، وتنطقان بالرؤية نفسها، هي أن إيقاع الحياة المعاصرة يشغل إنساننا عن الاهتمام بشؤون حياته الخاصة، وخصوصاً العلاقة بالجنس الآخر. والفرق يتمثل في البنية القصصية، فإن كانت القصة القصيرة تقصّ حدثاً تقوم به عدة شخصيات موصوفة، ويجري في مكان وزمان معينين، ويمضي في الحاضر، ويرتدّ إلى الماضي، ويتشكل نسيجه من سرد ووصف وخطاب، فإن القصة القصيرة جداً تقصّ حدثاً سرده مكثف، التقنية الأساس فيه التلخيص، يمضي خطياً، شخصياته ضمائر أو أسماء، ليس من زمان ومكان موصوفين، إضافة إلى أن العنوان يكون كلمة واحدة نكرة لتدل على العموم، وإضافة إلى أن الشريط القصصي قصير جداً هو في هذه القصة عشرون كلمة، وعموماً لا يتجاوز المئة كلمة. إضافة إلى هذين النوعين القصيّين، يلاحظ، في هذه المجموعة وجود نوع كتابي لا يهيمن فيه السرد، وإنما الخطاب، وهو نوع من الإشارات الحكمية المعروفة في تاريخ الأدب العربي القديم والحديث، مثل إشارة «عمر» (ص.123) التي تخلص إلى أن عمر المرأة يختصر الحياة، وإشارة «خط فاصل» (ص. 127) التي تقرّر أن حياتنا هي دائماً بين خطين.

تلبّي شهرزاد، في هذه المجموعة القصصية، طلب «احكي، يا شهرزاد»، وتحكي حكايات الحياة المعاصرة بلغة قصصية قصيرة وقصيرة جداً تعادلها وتنطلق برؤيتها الكاشفة لها.

ترجمة

نغوغي وا ثيونغو: عن الهويّات المُستعارة

يزن الحاج

إنْ جازَ لنا اختزال السرد الأفريقيّ (الأسود) في القرن العشرين في ثالوث، لن نتردّد طويلاً في حسم خياراتنا: وولي شوينكا، وتشنوا أتشيبي، ونغوغي وا ثيونغو. أضلاع هذا المثلّث السرديّ أسماء لها وزنها عالمياً، وإنْ كان النّيجيريّان مهيمنَيْن على الساحة أكثر من الكينيّ وا ثيونغو لأسباب كثيرة، ليس أقلّها جائزة نوبل التي نالها شوينكا، والأضواء الساطعة المُسلّطة على أعمال تشنوا أتشيبي. ثمّة سببٌ آخر أهم: بقي أتشيبي وشوينكا يكتبان بالإنكليزيّة، بينما هجرها وا ثيونغو وعاد إلى لغته الأصليّة، الكيكويو. كانت رواية «تويجات الدم» (1977) آخر عمل أدبيّ له بالإنكليزيّة، وإنْ كان قد واصل كتابة المقالات بها. لم يكن خياره الجريء في الكتابة بالكيكويو محض تغيير أداة تعبير، بل كان استعادةً لصوته ولهويّته ولوجوده، واستعادة لاسمه، حين نبذ اسم جيمس نغوغي، واعتنق اسمه الأفريقي. أرّختْ لحظةُ هجر الإنكليزيّة والعودة إلى الجذور لمسار جديد في حياته كلّها، ودمغتْ أعماله اللاحقة، كأنه ما زال يناضل لينزع كلّ أثر من آثار الصوت المستعار، واللغة المستعارة، والاسم المستعار، والهويّة المستعارة.

يمكن لنا عدّ كتاب «الكتّاب في السياسة ــ إعادة إشراك قضايا الأدب والمجتمع» (1982ــ 1997) الذي صدرت ترجمته أخيراً عن «ابن النديم للنشر» و«دار الروافد الثقافية» (ترجمة عهود المخيني) جزءاً آخر لكتابه «تصفية استعمار العقل» (1986)، أو ربّما مرآةً أخرى له. يقدّم لنا وا ثيونغو في «الكتّاب في السياسة» أربع عشرة مقالة وملحقاً، حيث حذف ثلاث مقالات من الطبعة الأولى، وأضاف أربعاً ضاعف فيها جرعة السياسة. ليس هذا مستغرباً من كاتب يرى أنّ «الكتّاب والمفكّرين حيوانات سياسيّة حتّى وإنْ احتجّوا أنّهم يقبعون في ملكوت الأفكار النقيّة». يرى وا ثيونغو أنّ كلّ كاتب هو كاتبٌ في السياسة بالضّرورة، وهنا يتقاطع رأيه مع رأي الراحل عبد الرحمن منيف وعبارته الدقيقة: «حتّى اللاسياسة هي سياسة»، بمعنى أنّ السياسة عنصرٌ جوهريٌّ لدى الكاتب حتّى لو تظاهر بنبذها، لأنّ هذا النّبذ موقف سياسيٌّ بحدّ ذاته. سنجد تقاطعات كثيرة بين الكاتبَين، على الأخص سعيهما لإبداع أدب أصيل لا يستعير أصابع الآخرين، وإنْ كان هذا يحتاج إلى بحثٍ مستقل نقارن فيه بين كتاب وا ثيونغو وبين كتاب منيف «بين الثقافة والسياسة» (1998).

تتركّز السياسة في القسم الثاني من الكتاب: «الكلمات والسُّلطات»، حيث يشدّد وا ثيونغو على حريّة التّعبير في أفريقيا النيوكولونياليّة التي عملت سُلطاتها بمنهجيّةٍ على وأد الثّقافة المحليّة بغية إلحاقها بثقافة أوروبا الكولونياليّة. إلى درجة أنّ الكتّاب الأفارقة صاروا يمنّزون أنفسهم تبعاً لتصنيفات اللغة الأوروبيّة التي يكتبون بها، وبحيث يكون مصيرُ أيّ محاولة للإفلات من قبضة اللغة الأجنبيّة المهيمنة التّضييقُ أو الاعتقال. اعتُقل وا ثيونغو نهاية عام 1977 إلى نهاية عام 1978 بسبب كتابته وإنتاجه مسرحيّة «سأتزوّج حين أشاء»، واضطرّ بعدها إلى العيش في المنفى. لم يكن موضوع المسرحيّة، الذي يصوّر الصراع على الأرض والوجود بين الفلاحين الكينيّين وبين الكولونياليّة العسكريّة والدينيّة، السببَ الأساسيّ للاعتقال، بل لأنّ تلك المسرحيّة كُتبت بالكيكويو، اللغة المحليّة التي يفهمها النّاس، بحيث انتقلوا أخيراً من كونهم مجرّد شخوص في أعمال مكتوبة باللغة الكولونياليّة إلى فاعلين أساسيّين في خلق العمل المكتوب باللغة المحليّة. من هنا ندرك ذكاء السُّلطة التي كانت ستغضّ الطّرف عن المسرحيّة لو كُتبت بالإنكليزيّة، أو ربّما ستكتفي برقابة بسيطة، لا أن تُسارع إلى إلغائها واعتقال كاتبيها في سجنٍ مشدّد. ولكنّ هذا الذّكاء ينحدر إلى غباءٍ هزليّ بعد تسع سنوات حين يصدر أمرٌ عام 1986 بإلقاء القبض على ماتيغاري، الشخصيّة الرئيسة في رواية وا ثيونغو. وحين اكتشفت السُّلطة أنّ ماتيغاري شخصيّة متخيّلة، منعت تداول الكتاب. وبدا يومئ وا ثيونغو إلى أنّ قَدَر الكاتب الأفريقيّ مُعلّقٌ بلحظات الذّكاء والغباء التي تنوس السُّلطة بينهما؛ مصير الكاتب والكتابة مرهونٌ بمزاجيّة سُلطة تسعى جاهدةً إلى إبقاء آثار الكولونياليّة حتّى بعد خروج الاحتلال المباشر، بل ربّما تضاعفها درجات حين يصبح الصراع صراعَ سلطةٍ وشعب، لا صراع احتلال ومقاومة. تريد الكتابة كما يحلو لك؟ اكتب بلغة أجنبيّة لا يفهمها النّاس، وإلا سنسحقك. هذا هو خطاب السُّلطات في أفريقيا (دول كثيرة في آسيا وأميركا الجنوبيّة)، لأنّها تخشى شيئاً واحداً فقط: وعي النّاس لهويّتهم وكينونتهم. أن تكتب بلغتك المحليّة يعني بالضّرورة تشجيع النّاس على إدراك ذواتهم، وهنا مكمن الخطر.

راديكاليّة أفكار وا ثيونغو ليست محض سياسيّة، إذ يشدّد على نقطة يتناساها معظم المناضلين: المناهج الدراسيّة في المدارس والجامعات. يرى وا ثيونغو أنّ تدريس الأدب ليس عمليّة بريئة، لأنّ حصر التدريس بلغةٍ أجنبيّة وباعمال أجنبيّة (أوروبيّة على الأخص) يُضاعف اغتراب الأفارقة عن واقعهم ووجودهم. لنا أن نتخيّل أنّ الطفل الأفريقيّ يتعرّف إلى الثّلج قبل أن يعرف نباتات بيئته، ويتحدّث الإنكليزيّة أو الفرنسيّة أو البرتغاليّة بطلاقة ولا يعرف لغته المحليّة، لندرك أنّ مفهوم الاغتراب لا يقتصر على المجالَين السياسيّ والاقتصاديّ، بل لعلّ الاغتراب الأخطر هو الاغتراب التعليميّ والثّقافيّ. ومن هنا يركّز وا ثيونغو على وجوب رَدْلَة التّعليم بحيث تكون الأولويّة للأدب المحليّ والأفريقيّ (في القارة وفي المهجر)، ومن ثمّ أدب آسيا وأميركا اللاتينيّة، ومن ثمّ آداب أوروبا وباقي العالم، إذ «على المرء أن يعرف مكان وقوفه حتّى يعرف الاتّجاهات التي عليه خوضها». لنا بالطبع أن نختلف مع وا ثيونغو في تعميمه المجحف أحياناً لكلّ ما هو أجنبيّ، ولتأويلاته الخاصة للآداب الأوروبيّة، ولكن تلك نقاط قابلة للنّقاش ولا تغيّر من جوهر أهميّة طروحاته الجريئة.

تبقى نقطة أخيرة لا بدّ من إيضاحها، حين يشير وا ثيونغو إلى أنّ مقالات الكتاب «يمكن جمعها في سؤال: ما جدوى الأدب في الحياة؟»، وإلى وجوب أن «يعكس الأدب الذي ندرّسه ... ماضي كينيا العظيم الحافل بالصراعات البطوليّة ضد الهيمنة الأجنبيّة». نفهم قصد وا ثيونغو، وقصد منيف، حين يشيران إلى أهميّة أن يكون الأدب «ملتزماً»، ولا تعارض بين كلامهما وبين وجوب التّشديد على جماليّات الأدب. أعمالهما مكتوبة بجمال وبراعة قبل أن تكون ملتزمة، لأنّهما يدركان حتماً أنّ الأفكار وحدها لا تؤسّس لأدب أصيل، إذ سنضيف إلى اغترابنا اغتراباً آخر حين نحوّل الأدب إلى شعارات صرفة. الفكرتان متضافرتان، وإنْ لم يوضحهما وا ثيونغو صراحةً.

أوراق

رجز عربي على صخرة قبل الإسلام بألف عام

زكريا محمد *

عثرت الباحثة المرحومة جيرالدين كنغ في عام 1989 على نقش صفائي فريد من نوعه في شمال الأردن أُعطي الرقم KRS 2453. والنقوش الصفائية تعرض لنا لهجة عربية قديمة كتب بها البداة الرعاة على صخور الحرات والصحارى بأبجدية قديمة لم تعُد مستخدمة منذ الميلاد أو قبيله. وتتركز الكتلة المركزية لهذه النقوش في شمال السعودية وشمال الأردن وجنوب سوريا. وأدناه النقش مكتوباً بالحروف الإنكليزية ثم العربية مصطفة وراء بعضها من دون علامة تشير إلى كيف يجب أن نقطعه إلى كلمات وجمل.

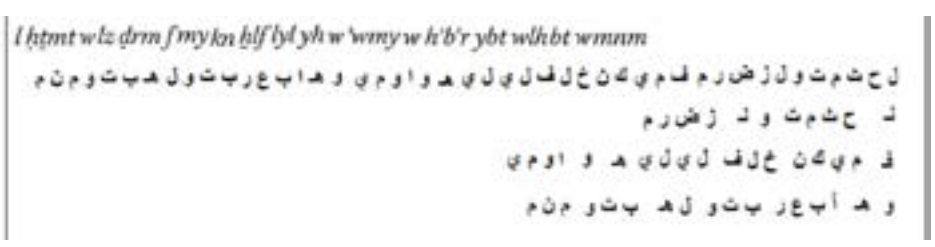

وليست هناك، كما نعرف، طريقة مأمونة لتوقيت النقوش الصفائية. فالتوقيتات المقترحة لها تبنى عموماً على فرضيات خارجية عامة. والاعتقاد السائد أن أقدمها يعود إلى القرن الميلادي الأول، وأن أحدثها يعود إلى القرن الثالث الميلادي. لكنني أعتقد أن هذا التوقيت يستند إلى قراءة موهومة وغير سليمة لعدد محدّد من النقوش. وهناك من يعتقد أن أقدم هذه النقوش قد يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وأحدثها إلى حدود الميلاد، قبيله أو بعيده. وأنا أميل إلى هذا الرأي. وأظن أن هذه النقوش تعود في غالبيتها إلى ما قبل سيطرة الخط النبطي في شمال الجزيرة العربية (المملكة النبطية من 169 ق.م إلى 106 ب.م). وإذا صحّ هذا، فالنقش الذي نتحدث عنه يعود إلى فترة تقع بين 600-1000 سنة قبل الإسلام. وأهمية هذا أنه، وبناء على قراءتي، يعرض لنا قطعة رجز. وهذا يعني أننا مع أقدم شعر عربي يصل إلينا حتى الآن. ويرجع الفضل للباحث أحمد الجلاد في إثارة الاهتمام بهذا النقش. فقد نشر ورقة بعنوان Echoes of the Baal Cycle in a Safaito-Hismaic Inscription، Journal of ancient near eastern religions 15 (2015) 5–19

حدس فيها، وانطلاقاً من تكرار حرف الميم في النقش في ما يبدو، بأنه أمام نص شعري. ولم يكن مخطئاً في حدسه. غير أنه، وللأسف، قدم قراءة مشوشة جداً، وغير مقبولة، لهذا النقش العظيم الأهمية. بذا فقد كان حدسه صحيحاً، لكن قراءته خاطئة من دون شك. وقد عمد إلى طريقة غريبة لقراءة النقش والتغلب على إبهامه. فقد افترض أنه خليط من لهجة صفائية وحسمائية. وانطلاقاً من ذلك، فقد أعطى لثلاثة أحرف من النقش قيمة صوتية حسمائية لا صفائية. وبهذا التلفيق توصل إلى أن النقش يتحدث عن الصراع بين الإلهين الكنعانين بعل وموت. وأدناه تقطيع الجلاد للنقش بعدما حولناه من الحروف الإنكليزية إلى الحروف العربية، إضافة إلى تفسيره وفهمه لهذا النقش مترجماً عن الإنكليزية:

النص:

«لَحَجّ موت واللاظّ ثَرام
فمُيَكان خَلْف ليالِيُه وأوّامُه
وها أبَعْل يُبَتْ ولَهُو باتّ وما نام»

المعنى:

«أولم (الإله) موت وليمة، المستهزئ يأكل
مؤسس تعاقب لياليه وأيامه
هو ذا بعل يُقطّع أرباً. إنه لمقطع حقاً، لكنه ليس ميتاً»
وأعتقد أنه من السهل الاستنتاج بأن هذا تفسير غامض، ويكاد يكون بلا معنى.
ويمكن لي القول إن خطأين مركزيين ارتكبهما الجلاد هما اللذان أوصلاه إلى قراءته غير المقبولة:

الخطأ الأول:

وقع في الحروف من 12-16، أي في الشطر الثاني من الرجز: فميكن fmykn. فقد قطعها الجلاد على النحو التالي: ف ميكن f - mykn مفترضاً أن الحروف الأربعة التي تتبع الفاء تكون كلمة واحدة هي: ميكن. وقد افترض أن هذه الكلمة تقرأ: (مُيْكانُ) وأنها من جذر كون: م ي ك ن (مُيَكان): يُرجَّح أنها صيغة اسم المفعول من الجذر «ك-و- ن» في وزن «أفعل»، وأصله «مُؤْكان»، بمعنى «كائن، ثابت»، والصيغة غير مثبتة في المعاجم العربية (حكمت درباس، ما قبل القصيدة الجاهلية: دراسة في الشعر العربي القديم، ضفة ثالثة، 15 مارس 2018).

والحقيقة أن هذه القراءة وهم كبير. فالحروف التي بعد حرف الاستئناف جملة شرطية مكونة من الاسم الموصول (مَنْ) ثم من الفعل (يَكُنْ)، أي أن شبه الجملة في الأصل هكذا: «ف من يكن». لكن التقاء النون بالياء أحدث إدغاماً، أدى إلى حذف النون وتشديد الياء. وقد كتب الراجز الجملة كما ينطقها، أي من دون النون (ميّكن). ولم يتمكن الجلاد من الانتباه إلى هذا الإدغام. ولو أنه انتبه إليه، لما كان بحاجة إلى اختراع كلمة «مُيْكانُ» الملفقة من الصفائية والحسمائية معاً. وقد أدى خطؤه في فهم هذه الكلمة إلى تعمية النقش نهائياً.

الخطأ الثاني:

ووقع في الحروف من 19- 28
فقد قطعها الجلاد هكذا: ليليه/ و أومه. وقد فهم أن هذه جملة تعني: لياليه وأيامه: «أما كلمة «أوّامه»، فأصلها «أيْوامه»، وهي صيغة الجمع المهجورة لكلمة يوم، والجمع المتعارف عليه «أيّام» (مماثلة الياء والواو) أحدث نسبياً (حكمت درباس، مصدر سابق). وإذا كان ممكناً، نظرياً، قراءة الحروف الخمسة الأولى على أنها «لياليه»، فإن قراءة بقية الحروف «و أومي» على أنها «و أوامه» وأنها تعني «أيامه» فغير مقبول بالمرة.

والحق أنه لا لزوم لكل هذا التمحك لفهم جملة: «ليالي هأوّم». إذ أن الجملة تحمل تعبيراً عربياً معروفاً جيداً في الشعر الجاهلي: الليالي الأُوَم، أو بالتشديد اللَيالي الأوّم:

لَمّا رأيت آخِرَ اللَّيلِ عَتَمْ
وأنها إحدى لَيالِيك الأُوَم

وهي تعني: الليالي المنكرة، أي السيئة: «اللَّيالي الأُوَّمُ: المُنْكَرَة، ولَيالٍ أُوَمٌ كذلك» (لسان العرب). والاختلاف أن النص الصفائي يستخدم الهاء بدل «أل» التعريف العربية: (ليالي هأوّم = ليالي الأوّم). كما أن يمد الكسرة ويحولها إلى ياء (الأومي). ونحن نعرف أن النقوش الصفائية تستخدم الهاء أحياناً وأل التعريف أحياناً أخرى.

بالطبع، هناك حرف الواو الذي يبدو زائداً بعد الهاء (هوأوم). ويجب التدقيق على صورة النص الأصلي للتأكد من وجوده فعلاً. وليس لدي صورة للنقش للأسف كي أفعل ذلك. ومن المحتمل أن رغبة الكاتب في الحصول على الهمزة المضمومة هي التي جعلت الكاتب يضيف هذه الواو. بالتالي، فهي واو لتأكيد ضمة الهمزة لا غير في اعتقادي.

وجملة «الليالي الأوم» وصف لليالي المعتمة، التي لا قمر فيها، في آخر الشهر. وهي بالنسبة للبداة المترحلين أصعب الليالي وأخطرها على الإطلاق. ففيها، وفي ظل عتمتها، تجري غزوات الأعداء، وهجمات السباع البرية، عليهم وعلى قطعانهم. بذا فشطرا الرجز الذي أوردناه أعلاه تكرر تقليداً ربما يكون عمره ألف سنة قبل الإسلام.

وإذا كان ما نقوله صحيحاً، فإن شطرين اثنين من قطعة الرجز يكونان قد انكشفا أمامنا وفُهما. ذلك أن الشطر الأول مكون من اسمين مع لام الملكية لا غير.

لـ حثمةٍ و لـ زضرمِ
فميّكن خلف ليالي هأُوَم (ليالي الأوّم)

أما «حثمة»، فاسم كان شائعاً في نهايات العصر الجاهلي وفي الإسلام. وهو يعني: «أُكَيْمَةٌ صغيرة سوداء من حجار» أو «أرنبة الأنف» أو «المهر الصغير» (لسان العرب). وأما زضرم فلم يرد كاسم في المصادر العربية. كذلك ليس هناك جذر لهذا الاسم في القواميس العربية. لكن لدينا الجذر (زدرم) الذي يبدو كتنويع على (زضرم). وهذا الجذر يكاد يكون ميتاً. إذ لا نجد تحته سوى كلمة واحدة: «الازدرام: الابتلاع» (الجوهري، الصحاح في اللغة). بالتالي، فالاسم زضرم يعني: المبتلع في ما يبدو. أي الذي يبتلع كالوحش أخصامه.

> يبدو أن الرجز هو أقدم شكل للكتابة الشعرية العربية

بناء عليه، يتبقى علينا أن نقرأ الشطر الثالث الذي يبدو الأصعب. ونحن نقطعه على الشكل التالي:

و هابعر يبتو له بتو منم

ومن الواضح بالنسبة لنا أن هذا الشطر يجب أن يحوي جواب الشرط (من يكن). ويفترض أن يبدأ هذا الجواب بفعل مضارع لأن الشرط بدأ بـ «يكن» المضارعة. والياء الوحيدة الموجودة لدينا في هذا السطر تقع في كلمة «يبتو» التي نعتقد أنها جواب الشرط وأنها مجزومة به. أي أنها في الأصل «يبتون». بالتالي يجب كتابتها بواو الجمع في نهايتها عند كتابتها بالخط العربي الذي نستخدمه «يبتوا».

أما الكلمة الأولى في البيت (هأبعر) فمعطوفة بالواو على «ليالي الأوم». ونفترض أن أبعر هذه جمع بعير، وأنها منونة (أبعرٍ).

لكننا لسنا متأكدين تماماً من معنى جملة «يبتوا له بتوَ». غير أن من الواضح أننا مع فعل ومصدره، وهو ما يشير إلى أن «بتوَ» مفعول مطلق مضاف إلى الكلمة الأخيرة: «بتوَ منم». وسوف نأتي إلى كلمة «منم» لاحقاً. لكن يبدو أن «بتوا، بتوَ» من الجذر «بتا». والغالبية على أن هذا الجذر تنويع على الجذر «بتأ» بمعنى أقام: «بَتَأَ بالمكان يَبْتَأُ بُتُوءاً: أَقامَ. وقيل هذه لغة، والفصيح بَتَا بُتُوّاً» (لسان العرب). لكن ابن دريد يشك في هذا، ويرى أن الفعل (بتو) فعل ميت، وساقط من الاستعمال، وأن معنى الإقامة فيه ليس ثابتاً: «والبَتْو فعل ممات، ثم قالوا: بتا يبتو بَتْواً، فلم يهمزوا؛ وهمز قوم فقالوا: بَتَأ يبتَأ بُتوءاً، إذا أقام بالمكان، وليس بالثَّبْت» (ابن دريد، جمهرة اللغة). لكن ليس لنا مفر سوى القبول، بشكل ما، بأن هذا الجذر يعني: أقام. لأننا لو قبلنا بفكرة ابن دريد، فسوف لن يكون بين أيدينا اقتراح آخر ملائم لحل معضلة جملة «يبتوا له بتوَ منم».

انطلاقاً من هذا، يبدو أن الرجاز يقول: ومن كان يتبع الليالي المنكَرة، وهذه الأباعر، فإنهم يبتون له بتوَ (منمِ). أي يقيمون له، أو ينشئون له، مكان إقامة يوصف بأنه «منم». ولسنا ندري بالضبط ما تعنيه كلمة «منم» ولا كيف علينا تشكيلها. لكن السياق ربما يعطي معنى أنهم يحفرون له «قبراً». أي أن مكان الإقامة هنا هو القبر. وإذا صح هذا، فإن «منم» هنا تبدو على صلة بـ «مُنِيم» بمعنى: مهلك، في بيت شعر للبيد. «قَبائِلُ جُعْفيّ بنِ سَعْدٍ، كأنما/ سَقى جَمْعَهم ماءُ الزُّعافِ مُنِيم. قوله: منيم: أَي مُهْلِك، جعل الموت نوماً» (لسان العرب). لكن كي ينضبط الإيقاع في الرجز، يبدو أن علينا أن نقرأ الكلمة الأخيرة بتشديد الياء (مُنَيّم):

يبتوا له بتوَ مُنَيَّم

أي بتواً للموت والهلاك، أي مقراً للموت والهلاك. بناء عليه، يبدو أن الراجز يصف وضعه في الليالي الأوم المعتمة وهو يتبع أباعره، قائلاً إن االليالي المنكرة، والإبل المتعبة، سوف تهلكه وتودي بحياته. وبناء على هذا، فإن اللام قبل اسمي حثمة وزضرم «لِ حَثْمَةٍ و لِ زَضْرَمِ» تشير إلى أن الرجل الراجز يكتب لهما كي يوضح لهما وضعه. وهذا يعني أنهما رفيقاه أو أخواه. وهذا يعني أنه أي يرسل لهما رسالة استغاثة في ما يبدو. فهو سيهلك وحيداً إن لم يسعفوه.

لحثمة و لزضرم
فميّكن خلف ليالي هأوّم
بتّوا له بتوَ منيّم.

انطلاقاً من كل هذا، يبدو أننا مع أقدم شعر عربي نصل إليه حتى الآن. أكثر من ذلك يبدو بالفعل أن الرجز هو أقدم شكل للكتابة الشعرية العربية وأنه أقدم بكثير من التقصيد، أي من الشكل الذي يتكون فيه كل بيت من شطرين ونسميه قصيدة.

* شاعر فلسطيني